الحركة السرية.. فى أوروبا

بقلم : هنرى ميشيل



LES MOUVEMENTS CLANDESTINS EN EUROPE

PAR **HENRI MICHEL**

الحركة السرية فى أوروبا

تأليف : هنرى ميشيل

تلخيص :

بدأ قيام الحركات السرية فى أوروبا مع نشوب الحرب الثانية فيما بين عامى ١٩٣٩ ، ١٩٤٥ وكانت فى بادىء الامر فى ايطاليا عـام ١٩٢٣ ثم ظهرت فى ألمـانيا عام ١٩٣٣ ٠

وكان مصدر هذه الحركات ، مواطنين عانوا من ظلم حكامهم ، وقاسوا من دكتاتوريتهم ٠

وكان بعض رجال الخدمة السرية يهاجـرون من بلادهم ، ويقيمون فى الخارج حتى يتيسر لهم سبل القيام بنشاطهم فى حرية كاملة ٠

وكانت أسهم هذه الحركات تخضع فى ـ ارتفاعها وانخفاضها ـ خضوعا مباشرا لسياسة كل من هتلر وموسولينى ٠

فمثلا : عندما غزى موسولينى الحبشـة عـام ١٩٣٤ ارتفعت أسـهم الفاشستية ، وانكمشت المقاومة ٠

وكذلك الحال عندما نجح هتلر فى مؤتمر ميونيخ عام ١٩٣٨ تضاءلت المقاومة فى الداخل والخارج ٠

ولكن هذه الحركات ليست هى المقاومة السرية الحقيقية ، لأنهـا تخص جماعة من المتذمرين على مواطنين توصلوا للحكم ، وليس للاجنبى دخل فى هذه الاحوال ٠

أما المقاومة السرية الحقيقية أو « الخدمة السرية » فهى تنشأ من جماعات يتكونون سرا لمحاربة العدو الذى احتل بلادهم ٠

وعرفت هذه الحركة قديما ومنذ عهد نابليون ، والحرب العالمية الاولى

ولكن ظهرت وازدهر نشاطها أبان الحرب العالمية الثانية ، وكان ذلك نتيجة غزو ألمانيا لاوروبا مع بقاء احتلالها لهذه المنطقة أعواما طويلة ٠

أما نابليون فكان اذا احتل دولة من الدول لا يلبث أن يتفق معها وينهى الاحتلال عنها ٠

المقاومة السرية من ١٩٣٩ – ١٩٤٥

عندما قام هتلر بغزو أوروبا قامت فى معظم الدول التى احتلها مقاومة سرية تهدف الى مناوأة العدو المحتل واعيانه ٠

فكانت هذه المقاومة السرية تقوم بتخريب جميع الاهـداف والمنشآت العسكرية ، وتعمل على اغتيال ضباط العدو وجنوده غدراً ، كما كانت تصنع الاسلحة ، وتطبع المنشورات والصحف وتنشرها ، وتمد الحلفـاء بالمعلومات القيمة وتقوم بتنفيذ طلباتهم ٠ وكانت تقوم باعداد جيش سرى وتغتال المتخاذلين من العملاء ، وكانت تتلقى المساعدات عن طريق الـبر والبحر والجو ٠

وعلى ذلك ، يمكننا ان نقول ان هذه المقاومة السرية كانت تقوم بأعمال التجسس والتخريب ، كما كانت صديقة للحلفاء ، وطابورا خامسا لهم ، عندما يغزون أوروبا ، وكانت شوكة فى ظهر الاستعمار الهتلرى ٠

هذه هى أهداف المقاومة السرية ، ولكن هل حققت المقاومة المذكورة هذه الاهداف فى كل البلاد التى احتلها هتلر ؟

وهنا تختلف الاجابة وفقا للظروف الاتية :

أولا ـ اختلاف طبيعة البلاد :

نجد البلاد الجبلية بطبيعتها تيسر للمقاومة القيام بأعمالها ، والنجاح فى تحقيق أهدافها ٠

كما يصعب على المحتل القضاء على هذه المقاومات ٠

ثانيا ـ اختلاف مستوى المعيشة :

يظهر لنا فى غالب الاحيان أن مستوى المعيشة المنخفض يؤدى الى نجاح المقاومة السرية ، حيث حياة الرجل أقل قيمة فى هذا المستوى المرتفع ٠ مثال :حياة رجل هولندا وبلجيكا أغلى من حياة رجـل أوروبا الشرقيـة والوسطى

ثالثا ــ القسوة والتسامح :

قد يظن المحتل ان قمع حركات المقاومة السرية بقسوة وعنف يؤدى الى التخلص منها • الا أن هذا العنف وهــذه القسوة لاتزيدهــا الا عنــادا واصرارا وصلابة •

* * *

وفى الكتاب الذى نحن بصدده ، نرى أن هتلر غــزى دولا بريئة من أى ذنب ، ولم يكن يبغى من ذلك سوى تحقيق هدف واحد وهو احتلال العالم أجمع ، وكان هذا حافزا لتحقيق المقاومة •

واخيرا وجدنا هتلر يؤمن بنظريةالتفرقة العنصرية ، ويعمل على ابادة نوع من البشر يرى أنه لايستحق الحياة •

وهنا بدأت اختلافات المقاومة السرية بين الدول ، وتعتبر يوغوسلافيا وبولاندا واليونان من الدول التى قامت فيها المقاومات السرية بحق •

فقد قام تيتو بالدور الاول فى المقــاومة السرية ، وضرب أروع مثــل للبطولة والصلابة ، فاستطاع أن يجاهد ويناضل ، وصمد أمام ضربات العدو ، حتىتحقق له مايصبو اليه من نصر •

أما بولندا فلم يجد العدو فيها عميلا واحدا انتهازيا متخاذلا يستخدمه فى تشكيل حكومة ، كما فعل كيسلنج النرويجى وبيتان الفرنسى •

* * *

.اما فى الدول المتمدينة ، فكانت المقاومة سيكولوجية مثل الدانمارك وهولانده وبلجيكا •

وكان العدو فى يوغوسلافيا يعدم ٥٠٠ رجل من أجل رجل ألمانيواحد ولم يتوان رجال المقاومة ، فكانوا يردون لهتلر الصاع صاعــين ، فكانت حرب ضروس لا رحمة فيها ولا شفاعة •

* * *

ان المقاومة السرية من الضرورات الوطنية ، وهى المقياس الذى توزن فيه الشعوب ، فالشعب الذى يقبل التخاذل والذل والهوان ، لا يستحق احترام الشعوب الاخرى ، بل لا يستحق أن يعيش ·

وقد رأينا بيتان ، ولافال فى فرنسا يتسابقان لكسب عطف هتلر لتسليم البلد للعدو ·

ثم رأينا دارلان وجيرو فى الجزائر يتسابقان لكسب عطف الامريكيين لتسليم الاسطول للاجنبى ·

وهذا العار يبقى على مدى الأجيال وصمة فى جبين الشعب الذى يقترفه .

نظـــرة عـــامة

كلما أحرز هتلر نصرا ، سواء كان هــذا النصر دبلوماســيا فى وقت السلم أو عسكريا فى وقت الحرب ، وكلما كان هذا النصر يزيد من سيطرة النازى فى أوروبا الامر الذى أضعف الـروح المعنوية الوطنيــة ، ورغم الدعاية التى كان يقوم بها هذا الغازى بمعاونة الحكومات والاحزاب العميلة المتخاذلة ، كان يقابل هذا كله معارضة تتجلى أحيانا بصورة علنية فيكون نصيبها القمع الفورى وأحيانا أخرى تكون هذه المعارضة فى الخفاء وذلك باعداد العدة من الاسلحة وبتقوية العزيمة بمدها بالامــل الذى يصبو اليه الحلفاء ، وقد كانت هم المعارضة تناوش العدو الى أن تحين الفرصة السانحة للانقضاض عليه بضربة قاضية ٠

ولقد تجلت ارادة الشعوب المغلوبة على أمرها بعد أن قهرت جيوشها ، وبعد أن أرغمت حكوماتها على الخضوع للغازى المنتصر الذى كان لايعتمد على القوة فحسب بل كان يعتمد ايضا على العقيدة ، فكان هذا المغتصب يدعى أنه يقوم بنظام جديد لبناء أوروبا ولاقامة ثورة اجتماعية وسياسية .

وللوصول الى هدفه كان الغازى يستخدم وسائل مألوفة لاتحتاج الى جهد ، من هذه الوسائل التخاذل والاستسلام وقبول الامر الواقع وتفويض مصير الشخص الى من هو أقوى منه ٠

وبينما كان هذا المغتصب يمنى الوصوليين بالمراكز المرموقة ويغدق عليهم النعم ، كان الاسرى يعانون الكثير من تعذيبه كما كان قاسيــا مع المتعنتين الذين لا يؤمنون بالاستسلام ، وكان يعدم الرهائن ويهدم القرى ويقوم بعملية ابادة الجنس داخل معتقلات وسجون لم يسمع عن فظاعتها من قبل ٠

والمقاومة فى ذاتها ليست أمرا جــديدا ، فكثــيرا ما سبق ان زاولتهــا الشعوب المغلوبة على أمرها ، مثال ذلك : حرب العصــابات التى شـنها الاسبان ضد جيوش نابليون ، وكذلك الجمعيات السرية التى تكونت فى

ايطاليا تحت اسم كاربوناري ، وغيرها ، وكذلك كان الحال في روسيا عندما تكونت جمعيات سرية في عام ١٨١٢ ضد جيوش نابليون، وكذلك كان الحال في صربياعندما حاولت هذه الدولة التحرر من ظلم الاتراك ، وبذلك نرى أن جميع الدول التي كانت مغلوبة على أمرها قد عمدت هي الاخرى الى حركة المقاومة السرية •

ومع ذلك لايمكن الاعتماد على الماضي وحده لنستقي منه كافة المعلومات وانما كان الماضي وسيلة لايقاظ الضمير فقط • أما الكفاح الذى قامت به المقاومة السرية كان كفاحا مرتجلا بمعني أنه كان لكل عملية من عمليات المقاومة كفاحا خاصا قائما بذاته ينتج عن التجارب التي تفشل في أولها ثم لاتلبث أن تنجح •

وتكونت فرق من الضباط القدامى ومن رجال المخابرت السابقين نظرا لخبرتهم ، وكانت هذه الفرق هي الخلايا الاولى التي خرج منها المدربين والمشرفين على حركة التجمع الجديدة •

وكانت حركة المقاومة عبارة عن جاسوسية نظمت لمصلحة الحلفاء ، ولم تقف هذه الحركة عند هذا الحد فحسب بل امتد اختصاصها الى أبعد منذلك فبدأ افرادها الذين حرصوا على عدم كشف أمرهم ، يعدون العدة ليكونو الطابور الخامس الذى يخدم الحلفاء وكان كل فرد يعمل بوحى من ضميره متجردا من الاغراض •

* * *

كانت المقاومة في أول أمرها كفاحا وطنيا لتحرير الوطن وكان الكثير يعملون الى هذا الهدف دون سواه • ولكن عندما جاء العدو لم يكن عدوا عسكريا فقط وانما حمل معه نظرية وعقيدة ونظاما سياسيا لا يعترف بالمدنية الغربية •

من أجل هذا كانت المقاومة كفاحا لحرية الانسان وكرامته ضد الدكتاتورية الغاشمة •

* * *

واذا كانت فترة المقاومة تختلط فى معظم الدول بفترة الاحتلال بمعنى أن المقاومة نشأت مع الاحتلال ، الا أن المقاومة قد بدأت فى عدة دول قبل حرب عام ١٩٣٩ ٠

فمثلا فى ايطاليا بدأت فكرة المقاومة عام ١٩٢٢ قبل الحرب بسبعة عشر عشر عاما ، وكذلك بدأت فكرة المقاومة فى ألمانيا عام ١٩٣٩ عندما ارتقى هتلر الى تولى الرياسة ويمكن القـول بأن جيوش المقـاومة خاضت أولى معاركها خلال حرب اسبانيا ٠

المعـــركة السرية

ليست المقاومة السرية منظمة ينضم اليها المرء كما يتضح من العبارة « التحق فلان بالمقاومة » ، انما المقاومة عبارة عن موقف خاص ، انه موقف فكرى ، أو موقف عقلى يدفع لانسان الى الرغبة فى تنفيذ عمل أو القيام بمخاطرة ·

كانت المقاومة السلبية تلقائية ولكنها أخذت أشـكالا مختلفة ، فتـارة كانت تزاول عن طريق الاحزاب ، وتارة أخرى كانت تزاول عن طريق توزيع المنشورات بطريقة سرية ، وأحيانا كانت تزاول عن طريق حرب العصابات ·

الا أن هذه المقاومة السرية انقسمت فى أوروبا الوسطى وفى أوروبـا الشرقية الى قسمين ـ الشيوعيين والرأسماليين ـ وتجلى هذا العداء بين القسمين واضحا فى دول يوغوسلافيا وبولندا واليونان ·

وفى بيان دور كل من الحلفاء فى حركة المقاومة نفضل البدء بالـدور الذى قامت به بريطانيا نظرا لانها وقفت وحدها مدة من الزمن أمام العدو المشترك ، ثم نتكلم عن الدور الذى قام به الاتحاد السوفييتى ، وأخـيرا نتكلم عن دور الولايات المتحدة ·

دور بريطانيا فى المقاومة :

كان دور بريطانيا فى ميدان الحرب السرية دورا فاق غيره من الادوار ، وقد كان لتشرشل الفضل الاول فى ايجاد هذه الفكرة · فعندما قابـل روزفلت فى أرجنتينا فى شهر أغسطس سنة ١٩٤١ اتفقا على وضع أسس للمبادىء الاستراتيجية التى سيسير عليها الحلفاء وكان ذلك فى خمس نقط من بينها « المساعدة لفرق المقاومة فى جميع البلاد المحتلة »·

هذا فى حين كانت المقاومة فى أوروبا مجرد أمل ·

ومنذ صيف عام ١٩٤٠ حتى خريف ١٩٤٢ كانت جميع فرق المقاومة في أوروبا تستمد نفقاتها من بريطانيا ، ولما كانت هذه الدولة التى ظلت تقاوم وحدها في المعركة تستخدم كافة الامكانيات والوسائل للوصول الى النجاح ، لذلك كانت أرض الامل فكان الملوك المطرودين من بلادهم يلجأون اليها وكذلك الحكومات المشردة في المنفى ، والمتطوعين الراغبين في مواصلة المعركة ، فكانت الشعوب المغلوبة على أمرها تعقد أملها على بريطانيا التى ظلت تكافح وحدها بعزيمة قوية ٠

مرت ببريطانيا أيام عصيبة ، واشتدت بها المحن ، وكان العدو يشيع ضدها الشائعات ، وفي تلك الفترة كانت مساعداتها لاوروبا متقطعة وغير كافية ، وكان التسلح الدفاعي في بريطانيا نفسها سيء للغاية ٠ وكانت الاذاعة البريطانية تكافح الشائعات التى يشنها الاعداء ، وتذيع النشرات والانباء حتى تستطيع المحافظة على الروح المعنوية داخل الدول المحتلة في انتظار يوم العمل ، فكانت هذه الاذاعة تذيع ٣٥ ساعة يوميا موجهة الى ١٨ دولة ، وقد تعهد الانجليز بأن يعيدوا الاراضى المحتلة لاصحابها ، وانشاء نواة جيوش قوية — على سبيل الرمز — للدول المحتلة تحت القيادة البريطانية ، وأعادت المخابرات البريطانية شبكاتها في الدول المحتلة كما أنشأت فيها شبكات جديدة ٠

وأنشأت وزارة الحرب الاقتصادية ادارة جديدة تحت اسم « **تنفيذ عمليات سرية** » وكانت هذه الادارة هي الاولى من نوعها ، وهي تقوم باعداد الرجال الاعداد اللازم ثم ارسالهم الى أوروبا بطريقة أو أخرى فهي اما أن ترسلهم عن طريق الجو وذلك بالمظلات ، أو ترسلهم برا عن طريق البرتغال واسبانيا ، أو ترسلهم عن طريق البحر ٠ ويقوم هؤلاء الرجال الفدائيين بتجنيد جماعات وتدريبهم على التخريب في نطاق ضيق ، وكانت القيادة العليا الريطانية تنظر الى هذه الادارة الجديدة بعين الازدراء لانها كانت معتقدة ان عملياتها غير مجدية ٠

وقد كانت هذه الادارة الجديدة المسماة « تنفيذ عمليات سرية » تقوم بتزويد كافة الجماعات السرية بكل ما يلزمها بشرط أن تثبت هذه الجماعات قيامها بأعمال فعالة ، كما أنها يجب أن تثبت انتظامها في القيام به ، وقد عملت هذه الادارة الجديدة في فرنسا مع الشيوعيين كما عملت مع تيتو في يوغوسلافيا ، ومن بين أهدافها أن تصلح بين الاخوة الاعداء ٠

اعدت بريطانيا العدة لحرب سرية ، فأنشـأت الاتصـال بالاذاعة عن طريق الراديو سواء أكان استقبـالا أو ارسـالا ، كما أنشأت معسكرات لتدريب جنود المظلات لاسقاطهم فى الـدول المحتلة كما عملت على صنـع القنابل البلاستك ودربت رجالها على الدخول الى أوروبا عن طـريق البر والبحر ٠

فكانت لندن طوال هذه الايام القلب والعقل لحركة المقاومة فى أوروبا فمنها يخرج الفدائيون ، ومنها يخرج المال لتمويل الجمـاعات والادارات المختلفة فى أوروبا ٠

وظلت بريطانيا تساعد المقاومة السرية وتضاعف من مساعدتها لها بالرغم من قلة عدد الطائرات ، وبالاضافة الى الفشل الذى اعترى عملياتها كما أن عدد رجالها المدربين كان قليـلا ، وكان العسكريون يترددون فى الاشتراك ، وبالرغم من هذا كله ، استمرت بريطانيا فى مساعداتها ٠

* * *

ومن نوفمبر عام ١٩٤٢ الى ابريل عام ١٩٤٤ استمرت بريطانيا فى محافظتها على ادارة المقاومة فى أنحاء أوروبا ٠

الا أنه فى هذه الفترة تدخلت بعض الدول مثل أمريكا وروسـيا ، مدعين بأن لهم حق الاولوية فى ادارة المقاومة فى بعض دول معينة ٠

وابتداء من عام ١٩٤٤ أخذ دور بريطانيا يتضاءل كنتيجة طبيعية ٠ لتضاؤل دورها فى الحرب ٠

ومن ثم انتقل عبء تزويد المقاومة فى الغرب الى الامريكيين ، أما فى أوروبا الشرقية فقد كانت السيطرة للنفوذ السوفييتى ، وكان للفرنسيين حق الاشراف على المقـاومة التى تزاول فى بلادهم ، ولم يتبـق للنفـوذ البريطانى الا فى الدول الصغيرة فى أوروبا الغربية مثل بلجيكا وهولندا والنرويج ٠

وانتهى الامر بأن أصبحت بريطانيا ــ التى خلقت المقاومة وساعدتها وتبنتها ــ أصبحت الان تعارض فى بقائها وتعمل على حلها ٠

ورغم هذا كله كان أمل السوفييت كبيرا فى فتح جبهة ثانية وذلك بانزال جنود على الشاطىء الغربى من أوروبا، ومن أجل تحقيقهذا الهدف عمل الاتحاد السوفييتي على انشاء ادارة سرية ، وهذه انشأت بدورها عدة شبكات في أوروبا المحتلة ٠ ولكن هذه الادارة كانت بالية بمعنى أنها كانت تستخدم أساليبا تقليدية قديمة ، ولم تقدم على استخدام الاساليب الحديثة مثل انزال جنود المظلات ٠ كما ان هذه الادارة كان ينقصها الاموال والرجال لان الاتحاد السوفييتى كان يفضل ابقاء الروس داخل أراضيهم حتى يتم نهائيا طرد العدو ٠

وقد كان للنصر فى معركة ستالينجراد أثرا بالغا ، فاصبح للاتحاد السوفييتى نفوذ لامثيل له فى العالم ، وكانت سياسة الاتحاد السوفييتى مشغولة باعداد الحالة السياسية والاجتماعية بعد الحرب حيث كان النصر أمرا لاريب فيه ، فكان الاتحاد السوفييتى مهتم بالدفاع عن نظمة ومطالبه وهنا يجب أن نفرق بين الشرق والغرب ، أما فى الغرب فقد ظل الاتحاد السوفييتى بعيدا عن التدخل فى شئون الدول المحتلة ، وفى الشرق كان الحال غير ذلك فقد كان تدخل السوفييت تدخلا شديدا جامدا ، فكان الجيش الاحمر كلما احتل بقعة من بقاع الشرق حرم على الانجلو سكسون التدخل فيها ٠

وموجز القول أن الاتحاد السوفييتى كان فى أول الامر شريكا للالمان ولكن في نهاية عام ١٩٤٤ أصبح الاتحاد السوفييتى أعظم دولة قاومت العدو مقاومة سرية لامثيل لها ، وهذا يرجع الى نصر الجيش الاحمر ٠

دور الولايات المتحدة الأمريكية :

لم يدخل الامريكيون الحرب الا فى السنين الاخيرة لذا كانت أهمية دورهم ظاهرة فى السنة الاخيرة فقط ٠

وترتب على تأخر الامريكيين فى دخول الحرب أن قل نفوذهم فى المقاومة ويرجع ذلك الى عدة عوامل منها : أن نوع الكفاح الذى قامت به المقاومة كان يختلف تماما عن العقلية الامريكية التى كانت تهتم بالغ الاهتمام باعداد حرب صناعية حيث تكثر الالات ، والتنظيم ، والنقل والتجديدات المستمرة فى الاسلحة ، كما توحد الوسائل الصناعية ٠ فى حين كانت المقاومة المجردة من كل شىء الفقيرة المعدمة لاتعتمد الا على تضحية وتفانى المحاربين المتطوعين ٠

دور الاتحاد السوفيتي :

ان دور الاتحاد السوفييتي فى الحركة السرية ومساعدة المقاومة يختلف اختلافا كليا عن الدول الذى قامت به بريطانيا •

حتى يونيو عام ١٩٤١ كان الاتحاد السوفييتي يقف موقف حياد ، ويرجع ذلك الى المعاهدة التى عقدها السوفييت مع الالمان قبل الحرب بأسابيع •

وكان كل اهتمام الاتحاد السوفييتي أن ينال نصيبه في بولندا ودول البلطيق وأن يقاوم المقاومة اللازمة شأنه في ذلك شأن ألمانيا ، وكان الاتحاد السوفييتى ينفذ المعاهدة الاقتصادية السياسية التى تمت بينه وبين ألمانيا • وفى الدول التي اقتسمتها ألمانيا مع السوفييت ، كان البولنديون الهاربين من الجزء الذى يحتله الالمان لا يجدون سبيلا للعيش فى الجزء الذى يحتله الروس •

أما خارج تلك الدول فكان الاتحاد السوفييتى يأخذ على بريطانيا تأييدها وتشجيعها لفلول الجيوش التى كانت تواصل الحرب مثل ديجول وبنيس • وكان الاتحاد السوفييتى يصف هؤلاء بالاذناب والمطية لرؤوس الاموال •

وقد ذهل الاتحاد السوفييتى عندما هاجمه هتلر ، وظل الاتحاد السوفييتى فى موقف الدفاع الى أن وصلت الجيوش الالمانية ستالينجراد •

وكان كل اهتمام الاتحاد السوفييتي ألا يهزم الجيش الاحمر ، وقد كان ضياع جزء كبير من الاراضى السوفييتية سببا فى جعل هذه الدولة تحت رحمة المساعدة الاجنبية •

وكان الاتحاد السوفييتي يتلقى المساعدة من الخارج كما كانت المقاومة هى الاخرى تتلقى المساعدة من الخارج •

وعندما انقلبت الدفة وتغيرت مجرى الاحوال ، وقام الجيش الاحمر بهجوم مضاد كان مركز الاتحاد السوفييتى لم يكن فى موقف يمكنه من أن يقوم فى هذه الفترة بدور ايجابى فى الخارج وكان مشغولا بوجود العدو فى بلاده •

والى جانب ذلك كان الامريكيين يعتبرون أوروبا أرضا أجنبية ، وكانوا يؤمنون أن مصيرهم الرحيل من أوروبا والعودة الى بلادهم ٠

أما بريطانيا والاتحاد السوفييتي فقد كان لهما هدفا اسمي ، وكان هدفهما مواصلة الحرب صيانة لمصلحة بلادهما ٠ وعلى ذلك ،ووفقا لهذه المصلحة ، تحدد موقفهما ازاء المقاومة ٠

واذا انتقلنا الى دور التنفيذ نجد أن القواد والضباط الامريكيين الموفدين الى أوروبا ورجال المظلات الهابطين الى فرنسا ، وغيرهم كانوا بعيدين كل البعد عن رجال المقاومة السرية لانهم كانوا يجهلون لغتهم ومطالبهم وأهدافهم ٠

ومن البديهى أن الامريكيين لم يقوموا بأى عمل فعال ازاء المقاومة السرية نظرا الى أنهم كانوا مشغولين بانتاج الاسلحة بكافة أنواعها ، وكان عليهم ادارة شئون أوروبا وآسيا وخاصة لانهم بعيدين عن المطامع الاستعمارية ٠

* * *

وفي ٨ نوفمبر سنة ١٩٤٢ وعندما أنزل الامريكيون جنودهم الى شاطىء أفريقيا الشمالية ، كان هدفهم الاعتماد على اشتراك حكومة فيشى والاتصال بالمعارضة ٠

ولكن سرعان ما انكشف هذا الاتصال وفشل فشلا ذريعا وذلك بسبب خيانة الاميرال فرانسوا دارلان قائد الاسطول الفرنسى وشريك الجنرال بيتان ، فقد قام دارلان فى عام ١٩٤٢ عند انزال القوات الامريكية بانقلاب واستولى على الحكم ووقف الى جانب هتلر ٠

* * *

كان الرئيس روزفلت يؤمن بحقيقتين ازاء فرنسا ، وهما :

اولا : ان حكومة فرنسا التى كانت فى المنفى والتى كان يراسها ديجول تحت اسم **فرنسا المحاربة** كانت لا تمثل الشعب الفرنسى الا اذا أجرى استفتاء ومن أجل هذا تردد روزفلت فى انزال قوات أمريكية

فى فرنسا خشية وقوع اضطرابات ، وكان من الصعب على الامريكيين حماية خطوطهم ٠

ثانيا : كان روزفلت واثقا تمام الثقة أن فرنسا لن تستعيد مكانتها كدولة عظمى فىالصف الاول، وان ديجول ليس الا مصغر ديكتاتور الى جانب أنه يسارى متطرف يؤيد الشيوعية الدولية ٠

كما أن روزفلت كان يعارض فى بقاء الدول الاستعمارية وامتداد وجودها بعد الحرب ، وكان موقفه هذا لايستند الى دعائم تقطع بصحته ٠

* * *

ونظرا للمقاومة الايطالية كان الامريكيون على حذر متأثرين بالدرس الذى تلقوه من خيانة دارلان ، كما أنهم كانوا غير راضين عن عائلة سافوى التى كانت تتولى الحكم فى ايطاليا فى ذلك الحين ٠

وعلى اى حال فقد أقامت أمريكا علاقات عسكرية وسياسية معالمقاومة ، فانشأت ادارة مركزية تشبه الادارة التى أنشأتها انجلترا للقيام بعمليات سرية ، وسميت بمكتب الخدمة الاستراتيجية ٠

وكان الامريكيون يتساهلون فى التحاق موظفى هذه الادارة أو على الاصح هذا المكتب الجديد ، وسرعان ما تدخلت فروع هذا المكتب الاستراتيجى فى جميع دول أوروبا المحتلة وانتشرت فيها ، وكان هذا التدخل يرمى الى اعداد العدة للعملية الضخمة وهى اعداد نزول القوات الأمريكية الذى كان مفروضا عليهم ٠

* * *

وفى عام ١٩٤٤ أخذت أمريكا محل بريطانيا فكانعليها تغذية المقاومة وتمويلها وتسليحها وتزويدها بكل ما يلزمها ٠

فقامت أمريكا بتسليح الجيش الفرنسى فى أفريقيا الشمالية ، وكان قوامه ٢٥٠ ألف رجل مقسمين الى ثمانى فرق محاربة و٣٠٠ وحدة معاونة وكذلك ١٩ سربا جويا ، كل هذا يتطلب ٣ مليون طن من البضائع ٠

كما قامت أمريكا بتسليح المقاومة الداخلية في فرنسا ، ففي٢٢يوليه عام ١٩٤٢ أوفد الامريكيون ٧٠ وكيلا وكل وكيل عليه ان ينشيء شبكة مستقلة عن الاخر كما أرسلت ستة آلاف صنـدوقا يحتوى كل منها على المعدات االلازمة لجنود المظلات من سلاح وتموين وذخيرة ٠

وفى ايطاليا قامت أمريكا في الفترة بين يناير الى ابريل من عام١٩٤٥ بارسال ١٢٢٨ طن منها ٦٦٢ طن أسلحة ٠

هكذا كان الحال في أوروبا الشرقية ، أما فى اوروبا الغربية فقـد كانت سياسة روزفلت تختلف عن سياسة تشرشل ، كان روزفلت يرى أنه من الافضل ترك أوروبا الشرقية للاتحاد السوفييتي ، وقد حاز هذا الرأى اعجاب الشعب الأمريكى الذى زهد الحروب ، فكان كل أمريكى يود العودة الى بلاده بعد قهر هتلر ٠ لم يرغب لوزفلت الدخول في حرب ثالثة مع الاتحاد السوفييتى بسبب تقسيم مناطق النفـوذ كمـا كانت رغبـة تشرشل ٠

وفى بودابست عندما اجتمع ترومان وستالين وتشرشل رفض ترومان النظر فى الاتفاقات التى اقرها سلفـه ، وقـد دل هـذا على عـدم تبصر الامريكيين وقصر نظرهم وجهلهم بالسياسة ، خاصة وان هؤلاء الامريكيين قد قدموا الى أوروبا الجائعة مساعدات بعيدة المدى ، وكانتهذه المساعدات تفيد فى الوقت نفسه أنصار الشيوعية التى انتشرت فى أوروبا الغربيـة وذلك لان الامريكيين كانوا يسـاعدون رجـال اوروبا الذين تفشت فيهم الشيوعية ٠

المعارضة السرية فى الأنظمة الدكتاتورية

ظهرت المقاومة السرية فى بادىء الامر فى الانظمة الدكتاتورية وذلك قبل الحرب العالمية الثانية بسنين . الا أن هذه الحرب غيرت من المقاومة ومساعدتها على التطور .

فقد كانت المقاومة فى بدايتها عبارة عن معارضة داخلية لنظامسياسى ظالم ، ثم أصبحت هذه المقاومة موالية لاعداء الوطن ، وهنا نتسائل : هل يقبل الضمير الانسانى أن يتحد مواطن مع أعداء وطنه ؟

ولكن رجال المقاومة فى ألمانيا الهتلرية وفى ايطاليـا الموسولينية كانوا هادئين مطمئنين من هذه الناحية حيث أنهم أصحاب عقيدة يؤمنون بهـا وهى أنهم مخلصون لبلادهم اما الخونة فهم هتلر وموسيلينى .

ايطاليا فى عهد حكم موسولينى

بدأت المقاومة عندما تقلد الحزب الفاشستى الحكم • فبين عامى ١٩٢٤ و ١٩٢٦ خرج أعداء النظام الفاشستى من ايطاليا وذهبوا الى الدول الاخرى لمواصلة الانتقام لعدم استطاعتهم مواصلة الكفاح داخل ايطاليا•

فبداوا فى باريس عام ١٩٢٧ بتأسيس جريدة سموها : **التجمع المعادى للفاشية** ، وكانوا يهدفون من هذه التسمية أن يكسبوا عطف الرأى العام الاوروبى ، غير أن الشيوعيين نبذوا هذه الصحيفة • وكان مصير هذه الحركة الفشل ، وذلك نتيجة لعدم الوفاق بين اعداء الفاشية ولعدم وجود الامكانيات اللازمة وخاصة المال ، هذا الى جانب تالق نجم موسولينى فى عواصم أوروبا •

وفى عام ١٩٣٤ بدأ الشيوعيين يتقربون من أعداء الفاشية وتم بالفعل طبع عدة جرائد وارسالها سرا الى دوائر العمال فى ايطاليا • هذا الا أن انتصارات موسوليني فى حرب الحبشة كانت الضربة القاضية التى أصابت أعده الفاشية •

وعندما جاءت حرب اسبانيا ، وجد المهاجرون أعداء الفاشية الفرصة سانحة ، فعملوا على تجنيد خمسة آلاف متطوع ، وارسالهم الى اسبانيا لمحاربة فرانكو ، وكان يساعد فرانكو القوات الايطالية التى كان يرسلها اليه موسيلينى •

وكان انتصار فرانكو ضربة قضت على آمال المهاجرين أعداء الفاشية ، ثم تلى هذا النصر المعاهدة الالمانية الروسية فى عام ١٩٣٩ وكانت الهزيمة الكبرى للمهاجرين •

لم يكن هذا هو كل ما وجه الى المهاجرين أعداء الفاشية من ضربات ، وانما كانت هناك ضربة قاضية نتيجة تقرب فرنسا وانجلترا الى موسيلينى محاولين بعده عن الدخول فى حرب مع هتلر ، فكان ثمن هذه المحاولة هو اندثار أعداء الفاشية فى أوروبا •

وظل المهاجرون يكافحون الى أن انقطعت العلاقات بين روسيا والمانيا عندما هجم هتلر على أراضي السوفييت ، وفجأة تحول الشيوعيون الى أعداء الفاشست ، وكان الزعيم الايطالي الشيوعي توليانى يلقى في موسكو الخطب ، وتضخمت حركة المقاومة خارج ايطاليا ، وتمكنت من من ارسال الجرائد السرية الى داخل ايطاليا بل واستطاعت أن تقيم مطابع سرية في ايطاليا نفسها ، وانتشرت هذه المطابع وزاد عددها حتى بلغ عدد النسخ التى كانت توزع سبعين ألف نسخة ٠

ومع ذلك لا يمكن ان نسلم بأن الاضراب الذى وقع في عام ١٩٤٣ بمدينة تورينو وجنوا وميلانو كان بفعل المقاومة السرية ، وانما كان نتيجة لسوء الحالة الاقتصادية ٠ وقد دل هذا الاضراب على ضعف النظام الفاشستى ، كما أنه ساعد المقاومة على هدم هذا النظام ٠

ولم يكن للمقاومة أيضا أى فضل في سقوط موسيلينى فى ٢٥ يوليو عام ١٩٤٣ ، وكان السبب هو تخلى أصدقاؤه عنه ٠ وبعد أن تخلص ملك ايطاليا من موسولينى بدأ يهتم بالمقاومة وفى نفس الوقت وجه اهتمامه أيضا الى تقسيم ايطاليا الى شمال ايطاليا ويحكمه هتلر بواسطة حكومة فاشستية برئاسة سالو ، وجنوب ايطاليا ويحكمه الحلفاء ٠

وبسقوط موسيلينى وصلت المقاومة الى هدفها ، غير أن هذا النصر كان نصرا غير مستقر طالما لم يقام فى ايطاليا نظاما ديمقراطيا ، وطالما لم يهزم هتلر ، وهنا ظهر وتجلى دور المقاومة التى أصبحت لا تحارب نظاما ممقوتا فى بلدها فحسب بل كانت تحارب عدوا أجنبيا يحتل الجزء الشمالى من الوطن ، ومع ذلك ظلت الحكومة الايطالية تحارب المقاومة فقد أصدر الماريشال بادوليو ـ الذى كان رئيسا للحكومة الايطالية والذى وقع استسلام ايطاليا للحلفاء عام ١٩٤٣ ـ أمرا بعدم الاعتراف بالمقاومة ، وفوق ذلك أصدر القائد العام للقوات المسلحة الايطالية الماريشال دواتا أمرا باطلاق النار على كل من يحاول القيام بمظاهرات ٠ وظل أعداء الفاشست فى السجون وفقا لحكم موسيلينى ٠

وفى عام ١٩٤٦ بعد أن اعتزل الملك فيكتوريا ايمانويل الحكم وبعد خروج الماريشال بادوليو من روما ، شكلت حكومة بونومى ، وتحولت المقاومة فورا من السرية الى العلنية ، وتألفت منها لجنة التحرير الوطنى ، ثم انقسمت هذه اللجنة على نفسها : بعضهم يؤيد الملكية والاشتراك فى

حكومة بادوليو ، والبعض الآخر يعارض فى ذلك • ونظرا لمساندة الحلفاء لحكومة بادوليو ، اضطرت لجنة التحرير الى قبـول الامر الواقع وأرجات البحث فى المسألة الملكية •

كان هذا كله يجرى فى جنوب ايطاليا ، أما فى شمالها الذى كان تحت حكم هتلر فقد قامت المقاومة بأعمال البطولة ولم تقف عند أعمال التخريب والقتل ، بل عمدت الى معارك فعلية خاضتها مع الجيش الالمانى المحتل الى أن وصلت الى تحرير البلاد •

ويمكن القول بأن المقاومة الايطالية الاولى التى ظهرت عام ١٩٢٢ وظلت محرومة من المال ومجردة من السلاح مدة من الزمن ، هذه المقاومة هى التى أبدعت وتجلت ، واستطاعت فى العشرين عاما التى عاشتها فى السرية أن تدفع بالشعب الايطالى الى الثورة ، كما أنها ساهمت فى صنع ايطـاليا الديمقراطية ، والمحافظة على وحدة أراضيها ، وأذاقت البلاد طعم الحرية •

المعارضة الألمانية ضد هتلر

كانت هذه المعارضة تختلف اختلافا كبيرا عن المقـاومة فى ايطاليا من حيث طبيعتها وتطوراتها ومسيرها وأهدافها · وكان السبب فى ذلك هو أن النظام النازى كان يختلف تماما عن النظـام الفاشستى · وكان النظـام النازى يقضى على المعارضة وهى فى نشاتها ، وكان كل عدو لهذا النظام أو حتى من يشتبه فى عدائه لن يكون مصيره معسكر الاعتقال · وقد اعتقل أكثر من ٣٠ ألفا من الالمان فى الفترة بين عامى ١٩٣٣ و ١٩٣٩ ـ ونفـذ حكم الاعدام فى ٤٠ ألف المانى بين عامى ١٩٣٣ ، ١٩٤٥

ولم يكن هؤلاء جميعا من رجال المقاومة الحقيقيين أو حتى من الرجـال الممكن الاعتماد عليهم فى المستقبل ·

فكان لشدة القمع تأثيره فى شل حركة المقاومة خاصة وأن انتصارات هتلر الدبلوماسية والعسكرية المتوالية أذهلت العالم فحرمت المقاومة من أن يكون لها صدى فى الرأى العام · ومن أجل هذا ظلت المقاومة للنظـام النازى فكرة جامدة لا تستطيع الظهور ، فكانت جسدا لا تدب فيه الحياة ـ وكان كل ما هناك بعض شبكات سرية مجردة من الامكانيات اللازمة ، وكان نشاط هذه الشبكات مقتصرا على عقد اجتمـاعات تضم عددا محدودا من المتآمرين على قتل هتلر لانهم كانوا يؤمنون بانه سيؤدى بألمانيا الى الضياع

أما الشيوعيون فكانت كل مهمتهم هو مساعدة الاشخاص الذين يطاردهم البوليس ، ومساعدة عائلات المعتقلين ، كما كانوا يحرصون على الاضراب فى نطاق ضيق ، ويحرضون العمال الفنيين على عدم القيام بواجباتهم على الوجه الاكمل حتى يكون العمل غير مفيدا ·

وتمت عدة محاولات منها طبع صحيفة سرية من ستة لغات موجهـة الى العمال الاجانب ، ومنها اذاعة أنباء سرية عن طريق محطات الارسـال ، ولكن البوليس السرى الالمانى (الجستـابو) اكتشف محطـة الارسـال واستطاع فك رموز الشفرة المستخدمة ، وتم القبض على ١١٨ شخصا من الشبكة التى سماها البوليس السرى الالمانى بالاوركستر الاحمر ·

كان الاتحاد السوفييتي هو الوحيد من بين الحلفاء الذى ساعد المعارضة الالمانية ، فحاول انشاء حكومة شيوعية المانية فى الاراضى السوفييتية ، وشكلت فعلا فى عام ١٩٤٣ اللجنة الوطنية لالمانيا الحرة وقد تكونت هذه اللجنة من ضباط وجنود وشيوعيين مهاجرين مثل أولبرخت ، وقامت هذه اللجنة بانشاء صحيفة (ألمانيا الحرة) التى كانت مخصصة للمعسكرات ، وكانت هذه اللجنة تقوم بتوجيه اذاعة الى المانيا ٠

وفى سبتمبر عام ١٩٤٣ تكونت رابطة الضبـــاط برئاسة الجنرال فون سيدليتز الذى دعا كبار ضباط الجيش الالمانى لان يعملوا على اسقاط هتلر وكانت هذه الرابطة ترسل الخطابات لكل من قواد الوحدات ٠ وفى صيف عام ١٩٤٤ انضم الماريشال فون بولوس الى رابطة الضباط وفى فرنســا تكونت لجنة ألمانيا الحرة لاوروبا الغربية ضمت اليها المهاجرين والهــاربين من الجيش ٠

اما عن علاقة الكنيسة الكاثوليكية والبروتسطنتية فقد ظن البعض أنه من المتيسر تعايش الكنيستين مع النظام النازى الا أن هاتان الكنيستان تعرضتا لسياسة مناهضة للدين ، وعندئذ قام بعض رجال الدين يحتجون على الاجراءات التى اتخذت ضد اليهود وغيرهم ، وكانت النتيجة أن قبضت السلطات الهتلرية على بعض رجال الدين وأرســلت بهم الى معســكرات الاعتقال ٠

ولم تخل طبقة الاثرياء من مجموعات معارضة للنازى مثل جماعة الوردة البيضاء وجماعة نادى كريزو ٠ أما المعــارضة التى تجلت واضحة ضــد هتلر فهى تمرد العســكريين بحيث أن عشرة آلاف منهم نفذ فيهم حــكم الاعدام ، وكادت القيادة العسكرية أن تقع وذلك لأن رؤساء القيادة كانوا متشائمين من تصرفات هتلر ، ولكن عندما كللت اعمــاله بنجــاح فائق وانتصارات أذهلت العالم كله كان هؤلاء القواد فى مركز لا يحسدون عليه ، ومن ثم بعضهم أحيل الى المعاش قبل أن يبلغ السن ، اما البعض الآخر فكان نصيبه السجن ٠

كما ان هناك شيء آخر هو أن قسوة النازى وغلاظتــه فى تصرفاته فى روسيا المحتلة كانت سببا فى اثارة استنكار الضباط الالمان الذين رأوا أن الطاعة العسكرية لها حدود وقرر بعضهم اغتيال هتلر ٠

وبعد محاولات فاشلة ، تمكن أحد الضباط الكولونيل فون استوفنبرج أن يضع قنبلة فى مقر القيادة العامة فى بروسيا الشرقية وكان مقررا أن يحضر هتلر لعقد مؤتمر ، الا أن هذه القنبلة لم تصيب هتلر الا بجراح كما أصابه منها ذعر شديد ٠

وكان المتآمرين قد أعدوا خطتهم بمهارة فائقة ، فقد نظم الجنرال بيك حكومة مؤقتة مكونة من بعض شخصيات مدنية برئاسة عمدة لينبرج وهو السيد جوردلر ٠

وكانت هذه الخطة تعمل على تحقيق اهداف أربعة وهى :

اولا ــ القبض على قادة الحزب ٠

ثانيا ــ القبض على رجال البوليس ٠

ثالثا ــ تجريد فرق الهجوم من السلاح ٠

رابعا ــ احتلال محطات الاذاعة ٠

وظن المتآمرون أن هتلر قد مات فأمروا بضرب الحصار حول مناطق الوزراء بواسطة جنود تابعين لهم ٠

ثم أعطوا الاوامر الى الوحدات المرابطة خارج برلين برئاسة الماريشال فون ويتر لبن الذى عينوه قائدا عاما للجيش الألمانى ٠ وأصدروا أمرا الى الكومندان ديمر بالقبض على جوبلز ، غير أن جوبلز استطاع أن يقنع ديمر بعدم القيام بالقبض عليه ، وطلب منه أن يبلغ هتلر فى القيادة العامة ، فأمره الزعيم النازى بأن يقضى على التمرد ، وبالفعل باءت هذه المؤامرة بالفشل ، ونفذ حكم الاعدام فى عدة أشخاص ، واستمر تنفيذ حكم الاعدام الى ليلة دخول الروس مدينة برلين ٠

ويمكن القول بأن المقاومة السرية فشلت فشلا ذريعا فى المانيا لان القمع الشديد الذى كان يسود البلاد كان عنيفا ٠ وكانت الدماء التى بذلها الالمان هى تكفيرا لجرائم النازى فى أوروبا ٠

الحركة السرية فى أوروبا الغربية

لم يكن جميع المواطنين فى المناطق المحتلة يعارضون فى النظام النازى ، فكان هناك بعض فئات من النـاس لم يستطيعوا الانضمام الى المعـارضة وكانت هذه الفئات هى :

أولا ـ المعجبين بهتلر الى حد التعصب ٠

ثانيا ـ المحتالين الذين يبحثون عن الرزق من الغنـائم والأسلاب التى كان العدو يجود بها عليهم ٠

ثالثا ـ محترف السياسة من الانتهازيين والوصوليين (مثل لافال) وكان هؤلاء يؤمنون بانتصار هتلر ويعتقدون أن التعاون معه يحقق لبلادهم مركزا ممتازا فى مجتمع أوروبا الجديد ٠

أما القادة فكانوا مؤمنين بأن النظـام النازى ما جاء الا ليحمى العـالم المتدين من المبادىء الهدامة ، وكانوا يقولون أنه من الافضل قبول هـذا النظام طالما كان هو النظام المفروض عليهم ٠

وازاء هذا الاستسلام والتخاذل فضلت المقـاومة أن تتريث حتى تحين الفرصة ٠

واستمرت هذه الحالة مسيطرة على الأفكار حتى عام ١٩٤٣ حيث بدأت المتاعب وانتشرت المجاعة ، وزادت قسوة العدو فى معاملة اليهود ٠

وكان نزول الحلفاء فى أوروبا ضربة قاضية ، عجلت بهزيمة عدو كان قد فقد الرأى العـام ٠ وعندما دخل الحلفـاء أوروبا اجتمعت الشـعوب لمساعدتهم على طرد العدو الذى كان يتمتع بهالة من التقديس وفقدها ، فقد هذا السحر الذى كان له أعظم الأثر فى تقدمه السريع فى البداية ٠

(١)

سندرس المقاومة القومية فى البلاد المحتلة وفقا لتواريخ الأحداث أى حسب ترتيب ظهورها ٠

١ ـ الدانيمارك :

فى ٩ أبريل عام ١٩٤٠ قامت ألمانيا بغزو الدنمارك ورأت حكومة الدانمارك أن الدفاع لا فائدة منه فعقدت مع النازى معاهدة تضمنت حق ألمانيا فى الاشراف الكامل على جميع القواعد والسكك الحديدية مع عدم التدخل فى الشئون الداخلية ٠

وهكذا لم يحدث أن دخلت الدنمارك فى حرب مع ألمانيا وعلى ذلك لم يكن هناك حكومة من الاحرار خارج البلاد ، وكانت النتيجة أن الدانمارك لم تقاس خلال فترة الاحتلال أية متاعب من جانب العدو ، وكل ما هناك أن الحكومة الشرعية كانت غير تابعة لحكم النازى وكانت تحاول تحاشى المتاعب والآلام المسببة للسكان ٠

وكانت أول حركات التحرر هى قيام السفير الدانماركى فى الولايات المتحدة (سير كوفمان) بتسليم قواعد فى جزيرة جروينلاند للامريكيين ، فبهذا التسليم تم وضع خمسة آلاف بحار دانماركى تحت تصرف الحلفاء ٠

ويمكن القول بأن المعارضة فى الدانمارك لم تظهر الا على هيئة دفاع عن الافكار الديمقراطية ازاء دعاية النازى ومن بين ال ١٥٠ عضوا المكونين لبرلمان الدانمارك لم يعتنق المذهب النازى الا عضوا واحدا ٠

ومنذ عام ١٩٤١ رأى جزء من الرأى العام فى الدانمارك أنه يجب أن تنضم بلادهم الى جانب الحلفاء ، وهنا بدأت الخلافات بين الحكومة والرأى العام لا من حيث المبدأ فحسب بل أيضا من حيث التكتيك ٠ فظهرت الصحف السرية وسرعان ما انتشرت حتى بلغ عددها ٨٠ صحيفة عام ١٩٤٣ ثم زاد عددها وبلغ عام ١٩٤٥ ما قيمته ٢٦٥ صحيفة ٠

كانت هذه المقاومة تلقى المساعدة من الحلفاء فكانت الادارة السرية البريطانية هى أول من اتصلت بالدانماركيين الذين كانوا ينقلون اليها المعلومات ، ثم تطوع ضباط ودانماركيون من جميع الطبقات ٠

وكانت وسائل الاتصال هى محطات الارسال والتقارير السرية التى كانت تصدر عن طريق السويد ومكنت هذه البيانات الانجليز من ضرب المصانع بالطائرات وضرب الاهداف العسكرية ٠

وفى عام ١٩٤١ نشأت فى لندن ادارة سرية دانماركية على غرار الادارة السرية البريطانية الا أنها فشلت لعدم وجود دانماركيين أو لعدم وجود بريطانيين يعرفون اللغة الدانماركية ٠

وفى عام ١٩٤٢ استطاع الانجليز أن يسقطوا بعض الفدائيين بالمظلات ، وكان لهؤلاء الفضل الاكبر فى ادارة عمليات المقاومة لدرجة أن زعيم شبكة الادارة السرية البريطانية كان يقوم بدور سفير لدى السلطة المحلية فكان هذا السفير يقوم بدور عسكرى ودور دبلوماسى ، فهو الذى يصدر الاوامر واليه تنتهى الاوامر ٠

ولما كثرت مطالب الالمان من الدانماركيين قررت الحكومة حل نفسها فى اغسطس عام ١٩٤٣ ، وعلى أثر هذا الحادث ظهرت المقاومة على حقيقتها واصبحت مشروعة ومع ذلك لم تشكل فى لندن حكومة حرة ٠

الا أن الحركة السرية قد خلقت مجلس دانماركى حر مكون من سبعة أعضاء وكان رئيسه أحد رجال الادارة السرية البريطانية ـ وقد قام هذا المجلس بتنسيق المقاومة وحدد أهدافها الا أن الحلفاء لم يعترفوا بهذا المجلس ٠ وكان الاتحاد السوفييتى أول من اعترف به وقبل أن يكون أحد أعضائه (أحد أعضاء المجلس) سفيرا فى موسكو وكان ذلك فى ابريل عام ١٩٤٤ .

وفى النهاية اعترفت الحلفاء بهذا المجلس تسليما للأمر الواقع ٠ وشكلت الحكومة برئاسة الملك وكان نصفها من رجال المقاومة السرية والنصف الآخر من الزعماء السياسيين ٠

وفى عام ١٩٤٤ منعت السلطات الألمانية الاحتفال بعيد دينى ، غير أن الاهالى احتفلوا بالعيد غير مبالين بهذا الخطر ، ثم قاموا بعد انقضاء الاحتفال باضراب عام شمل التليفونات والمياه والنور والنقل العام ، ودارت معارك حامية فى الشوارع ، ومنعا لسفك الدماء أمرت الحكومة باستئناف العمل ٠

وفى نهـاية الامر فى صيف عام ١٩٤٤ تـكون جيش سرى كان قوامه عشرات الآلاف من الجنود وكان مزود بالاسلحة البريطانية والسويدية ·

وكان مهمته أن يمنع التخريب الذى كان محتمـلا أن يقوم به الجيش الالمانى ·

وكادت الكارثة ان تحل ولكن الالمان استسلموا فى ٤ مايو عام ١٩٤٥ دون أن يخوضوا المعركة ·

٢ ـ الـنرويج :

قبل ان تقع النرويج تحت حكم المانيـا كان الانجليـز قد أنشأوا فى قنصلياتهم هناك « مكاتب للملاحة » كان عملها جمع البيانات نظرا لاحتمال انزال جنود فى هذه المنطقة ، كما كانت تقوم بدراسة المواصلات والموارد وحالة الشعب الفكرية ·

وعندما احتل الجيش الألمانى النرويج ، عاد الضبـاط الانجليز الذين كانوا يشرفون على هذه المكاتب الى بلادهم ، ونظرا لخبرة هؤلاء الضبـاط بالاتصالات ، ومعلوماتهم عن هذه الدولة ، فقد كونوا نواة للادارة السرية الخاصة بالنرويج ·

ورفض ملك النرويج « هاكون » أن يوافق على تشكيل وزارة كيسلنج التابعة للألمان ، وغادر الملك بلاده الى لندن ، ثم انضم جزء كبير من الاسطول التجارى الى الانجليز وساعدوهم فى مناوشات العدو عن طريق البحر · ولم يقر غالبية الشعب هذا التخاذل من الحكومة وظهرت المقاومة بطريقة جماعية ، فقد رفضت هيئة التدريس الانضمام الى المنظمات النازية التى انشأتها حكومة كيسلنج ، وكانت مراكز الشباب والرياضـة والوحدات العسكرية السابقة هى مراكز المعارضة الصامتة · الا أن الفضـل الاول يرجع الى الجيش النرويجى الذى اخذ على عاتقه جمع الهمم وتقوية العزائم .

فى عام ١٩٤١ قام الجنرال دوج القائد العام بانشـاء منظمة عسكرية سماها (ميلورج) ، وكان هدف هذه المنظمة أن تجمع المتطوعين الذين كانوا عزل من السلاح فكان هذا العمل بمثابة تعبئة سرية ، بالاضافة الى ن كل متطوع كان يقوم بتزويد الانجليز بمعلومات سرية هامة ·

وبدأت أولى عمليــات التخريب على يد صـيادى السـمك فكان هؤلاء الصيادين يقومون بنقل الفدائيين من انجلترا الى النرويج بطريقة منتظمة جدا وتحت اشراف قائد انجليزى ٠

وقام الفدائيون بأعمال باهرة فدمروا عدة مصانع ، وأغرقوا عدة بواخر وأسروا عددا من الالمان والنرويجيين التابعين لهم ٠

وقد تسلط الخوف على هتلر ، فكان يخشى نزول جنـود انجليـز على شواطىء النرويج فارسل فى عام ١٩٤٢ الى هذه الدولة ١٥٠ الف جندى ٠ وكان لهذا العدد الضخم أكبر الاثر فى المقـاومة النرويجية التى تكبدت خسائر فادحة ٠ فقد وقع فى أيدى السلطات الالمانية عدد كبير من الفدائيين النرويجيين والانجليز وكان مصيرهم الاعدام رميا بالرصاص ، وسـاعد الجستابو عدد من الاهالى ، فقام بالقضاء على منظمة بيلورج واعدام ٥٠ من رجالها ٠

ورأت الادارة السرية عدمالتعرض للأخطار ، فاكتفت بأن تركز اهتمامها فى منع الالمان من أن يكونوا اول من صنع القنبلة الذرية ، فكانوا ينسفون المصانع التى كانت تعمل على صنع هذه القنبلة ٠

وبالفعل نجح الانجليز والامريكيون فى نسف خزان ميـاه كان يحوى ٦٠٠ كيلو ماء ثقيل مما يستخدم فى صنع القنبلة الذرية ٠ وعلى أثر نسف هذا الخزان ازداد عنف القمع الالمانى ، فقبضتالسلطات الالمانية على ١١٠٠ ضابط و ١٢٠٠ طالب و ٣٠ مدرس جامعى ٠ والى جانب هذا كله استطاع الصيادون ـ الذين كانوا يقومون بنقل الفدائيين من انجلترا الى النرويج ـ أن ينقلوا الى هذه الدولة ٦٠ جهازا للارسال و ٤٠٠ طنـا من الاسـلحة استخدمت فى تسليح حوالى ٣٥ الفا من رجال المقاومة ٠

٣ ـ هولاندا :

بدأ احتلال المانيا لهولندة بفترة من الارتبـاك والاضطراب ٠ فهربت الملكة ويلهلمن وحكومتها الى لندن ٠ وبعد أن هدأت الحالة قامت مظاهرات فى عدة مدن بمناسبة ذكرى ميلاد الامير برن هارد ، ولم يخش المتظاهرون بأس الالمان ، واجمع زعماء الاحزاب السياسية على عدم التعاون مع العدو

المحتل خشية التعرض لاساءة السمعة ، كما أن الحزب النـازى الهولندى كان موجودا قبل الغزو وكان عدد أعضاءه ٣٠٫٠٠٠ وأصبح بعد الاحتلال ٥٠٫٠٠٠ فقط ٠

لم تقم المقاومة الهولندية بكفاح مسلح ولم تنظم المقاومة لنفسها أوكارا فى الغابات او فى الجبال ، وذلك بسبب ازدحام السـكان وعدم وجـود غابات ٠

أقامت المقاومة بعض المعسكرات الصغيرة في مقاطعة ليمبورج ، الا أن هذه المعسكرات لم تستمر طويلا فسرعان ما اكتشف أمرها وزالت ٠

لم تقم المقاومة الهولندية بأعمال التخريب الا نادرا مع أن العسكريين هم الذين أنشأوا المقاومة السرية ولكنهم لم يتحـدوا الا متأخرا فى عام ١٩٤٤ بقيادة الامير برن هارد ٠

ومع ذلك لم تشترك المقاومة السرية الهولندية فى معـارك التحرير ، والسر فى هذا الافلاس يرجع الى عنف قمع الالمان ومهارة جهاز المخابرات .

فقد اكتشف الالمانى شريدر رئيس جهـاز المخابرات شـبكة تجسس هولندية ، تجمع المعلومات وترسلها الى انجلترا عن طريق الراديو ، وبعد القبض على أعضاء الشبكة قام شريدر بالاتصال بالانجليز بعد أن كشف سر الشفرة ، وخدعهم واستمر في تمثيل دور شبكة التجسس الهولندية من عام ١٩٤١ الى عام ١٩٤٣ ، وكان يتلقى من الانجليز مواعيد ارسـال جنود المظلات الانجليز ، وكانوا يرسلون اليه أيضا صناديق تحتوى على مستلزمات الجندى فى الميـدان من أسلحة وذخيرة ومؤونة ، وبلغ عـدد الصناديق التى وقعت فى أيدى المخابرات الالمانية يكفى لتسليح ١٠ آلاف رجل ٠

وكانت المقاومة السرية فى هولندا حتى عام ١٩٤٤ لا تملك سوى ١٢ مسدسا ، ثم بدأت الصناديق المرسلة تقع فى أيدى رجال المقـاومة ، الا أنهم لم يستفيدوا من محتوياتها لان الالمـان استسلموا دون الخوض فى معارك ٠

كذلك كانت شبكة تهريب الاسرى قليلة النشـاط وكان عدد الاسرى الحلفاء الذين استطاعت المقاومة تهريبهم لم يزد عن ١٠٠ أسير ٠

ومجمل القول أن المقاومة السرية الهولندية كانت مقاومة خلقية وعقلية ظهرت فى صورة تضامن وطنى ٠ وكان من أهم خصائصها الاضراب التضامنى ٠

واضرب الهولنديون بسبب نبأ اعتقال العسكريين عام ١٩٤٣ الا أن السلطات الالمانية قمعت الحركة فورا وأعدمت ما يقرب من ١٥٠ شخصا منعا لانتشار هذه الاضرابات وانتقالها الى بلجيكا ٠

وأصدرت حكومة هولندا المقيمة فى لندن أمرا بالاضراب عن طريق الاذاعة ، وبالرغم من مصادرة السلطات الالمانية لاجهزة الراديو الموجودة فى هولندة ، فقد سمع الهولنديون هذا الامر ، ونفذ فعلا ، فوقفت جميع القاطرات ٠ وفى هذا أكبر دليل على اخلاص الشعب الهولندى وولائه لملكته وحكومته ٠

وقد حال دون اعمال المقاومة السرية فى هولندا وجود حزب كبير – فى بلجيكا – من الفلامان الموالى لهتلر ٠

هذا بالاضافة الى ما سلكه الملك ليوبولد الذى اعتبر نفسه أسيرا ورفض أن يغادر البلاد ٠

أما الوزارة البلجيكية برئاسة بيرلو فقد قررت :

اولا – مغادرة البلاد والاقامة فى لندن ٠

ثانيا – وضعت هذه الحكومة تحت تصرف الحلفاء نخبة ممتازة من قواد الجيش الذين تمكنوا من الهرب الى لندن ، وقامت هذه القوات بمساعدة الانجليز بالدفاع عن انسحابهم فى موقعة دنكرك وفى شن الغارات على مراكز الالمان فى البلاد المحتلة ٠

كما ساهم بعض الجنود البلجيكيين فى معارك أفريقيا ٠

* * *

بدأت المقاومة السرية فى بلجيكا مقاومة ارتجالية تلقائية ثم قام الانجليز بتنظيمها ، فقسموها الى قسمين : المقاومة العسكرية ، والمقاومة المدنية ٠ وكان لهذا التخصص أثر طيب ٠

وكان هناك عاملا آخر ساعد المقاومة فى بلجيكا ، هذا العامل هو الاحتلال الالمانى أثناء الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ الى عام ١٩١٨ ، وفيه تنبه الوعى القومى ، وتدرب المواطنون على مقاومة العدو ، فكانت هذه الفترة بمثابة مدرسة تعلم فيها الشعب فنون المقاومة السرية .

فانشأت المقاومة شبكات للهرب سهلت لعدد كبير من الانجليز الفرار من الاسر الذى وقعوا فيه عند انسحابهم من مدينة دنكرك .

كما أنشأ القادة المدربون من البلجيكيين عدد من الصحف وأنشأوا أيضا جيش التحرير البلجيكى فى لييج وفى انفرس وفى بروكسل وفى عدة مدن أخرى .

وكان لهذا الجيش جواسيس فى البوليس البلجيكى التابع لالمانيا ، وكان هذا الجيش يعيش من جمع التبرعات ، وكان يقوم بأعمال التخريب . ومع أن الانجليز هم الذين ساهموا فى انشاء جيش التحرير الا أنهم كانوا يقترون فى منحه السلاح .

وعندما تحررت بروكسل فى ٤ سبتمبر عام ١٩٤٤ قدم جيش التحرير السرى خدماته للوطن :

اولا ـ أسر آلاف الالمان .

ثانيا ـ حال دون تدمير المصانع التى كان العدو يهدف الى نسفها .

٤ ـ فرنسا :

كانت حكومة فيشى بعد الهدنة لاتزال تملك من فرص الوصول الى النصر ما لا يستهان به . من هذه الفرص على سبيل المثال : أسطول سليم ، وامبراطورية فيما وراء البحار ، والجزء غير المحتل من فرنسا ، جيش من الرواد المدربين ، هذا الى جانب ما كان يتمتع به الماريشال بيتان رئيس الحكومة من احترام الشعب وطاعته له .

وكان الجميع ـ فى فرنسا وخارجها ـ يتساءلون عن كيفية استخدامه هذه الامكانيات وعن كيفية مسايرته لهذه القوة . لذلك كان الحلفاء يرهبون جانبه ، كما كانوا يمنحوه قدرا من الاهتمام . وكان بعض الفرنسيين المعادين للالمان يتوقعون استئنافه القتال فى فرنسا أو فى شمال أفريقيا .

وحتى يتم هذا كانت فرنسا منقسمة الى قسمين :

القسم المحتل ، والقسم غير المحتل · أما القسم المحتل فكان الاهالى فيه يقاسون أولا من الغارات الجوية المستمرة التى كان الحلفاء يقومون بها ، فكانوا معرضين للموت فى كل لحظة · كما أنهم كانوا يقاسون أيضا من مطالب العدو المحتل التى لا تنتهى ·

ولهذا كان الجزء غير المحتل مأوى للهاربين من الجزء الآخر وكان بديهيا أن يتمكن أهالى القسم غير المحتل من البدء فى اقامة المقاومة السرية ·

وكان موقف الرأى العام غامضا ، ولم تفعل حكومة فيشى شيئا لتنويره فقد كان فى حيرة وارتباك حيال تصرفات الالمان مع اليهود والشيوعيين وجمعية الماسون · وأخيرا تكونت معارضة ضد الالمان وضد فيشى ·

اما موقف الجنرال ديجول وحفنة من المتطوعين الذين لحقوا به هو أنهم لا يتمتعون بالشرعية اللازمة للحكومات المقامة فى المنفى وهذا كان من وجهة نظر الحلفاء · وكان ديجول لا يود أن يعامله الحلفاء معاملتهم للجنود المرتزقة ، وكان يؤكد أنه يتكلم باسم فرنسا المكممة ·

ان تاريخ المقاومة السرية الفرنسية هو عبارة عن تجميع تدريجى لمختلف قوى المعارضة الخارجية والداخلية حول الجنرال ديجول وتحت سلطته ·

* * *

كان للهزيمة بالغ الاثر فى الروح المعنوية فى فرنسا فأصيب الشعب بانحلال العزم ، وفضل الانتظار وترك أموره للظروف والمصادفات ، وكانت مبادأة العمل تقع على عاتق ديجول ·

وفى ١٨ يونيو عام ١٩٤٠ أصدر من لندن عدة نداءات كانت تدور جميعها حول عبارته المأثورة : « ان فرنسا خسرت معركة ولم تخسر الحرب » « ان شعلة المقاومة الفرنسية لن تطفأ » · وطلب ديجول من جميع الفرنسيين الذين يتمتعون بالحرية أن يلحقوا به ، وقد لبى هذا النداء جزء يسير من الشعب الفرنسى ·

وكون ديجول نواة القوات الفرنسية الحرة من القوات البحرية والبرية التى كانت موجودة فى انجلترا · وقامت حركة انفصالية فى المستعمرات الفرنسية ، وكون ديجول فى ٢٧ آكتوبر عام ١٩٤٠ مجلس دفاع الامبراطورية ·

كان لحادث « مرسى الكبير » آكبر الاثر فى العلاقات بين بريطانيا وديجول ، ويتضمن هذا الحادث أنه في يوم ٣ يوليو عام ١٩٤٠ وقع خلاف بين البحارة الفرنسيين والبحارة الانجليز فى مرسى الكبير وهى قاعدة بحرية في خليج وهران فما كان من الانجليز الا أنهم أغرقوا جميع السفن الفرنسية الراسية هناك ومات ١٢٠٠ بحارا فرنسيا ·

ترتب على هذا الحادث طرد الانجليز جميع البحارة الفرنسيين الذين كانوا يرابطون فى انجلترا ، فرجع هؤلاء الى فرنسا · واضطربت المستعمرات الفرنسية ، الا أنها لم تقم بحركة معادية لفرنسا · ولم يلب دعوة ديجول من القواد العسكريين الا اثنين فقط ولذلك كان القواد الذين عملوا مع ديجول كلهم جدد وكان لحادث داكار أثر آخر ، ويتضمن هذا الحادث أن ديجول وحفنة الجيش الذى يحارب معه أرادوا الاستيلاء على داكار وهو ميناء يقع على المحيط الاطلسى ، وكانت داكار وقتئذ عاصمة أفريقيا الغربية الفرنسية ــ وهى حاليا عاصمة السنغال ــ وفشل ديجول فى الاستيلاء عليها ، وهنا تأكدت بريطانيا من أن ديجول لا يمثل فرنسا ولا المستعمرات الفرنسية ، وكانت حكومة فيشى فى نظر بريطانيا الحكومة الشرعية التى تمثل فرنسا ·

ازاء هذه الحالة غير المستقرة يمكن تلخيص العبء الذى قام به ديجول الى ثلاثة أعباء :

١ ــ كان على قوات فرنسا الحرة أن تقاتل فى عدة جهات لكى تثبت وجودها : في الحبشة ، وليبيا ، وبريطانيا ، وسماء روسيا ، والمحيط الاطلنطى ، وبير حكيم · ومن هذه المعارك خرج قواد تكون منهم جيش فرنسا الجديد الذىسجل لبلاده المجد العسكرى الفرنسى · وهؤلاء القواد هم : لوكلير ومونكلار ولارمينا وكوينج

٢ ــ كان ديجول يدافع عن المصالح الفرنسية ضد جشع الانجلو ساكسون فوقف ديجول أمام الامريكيين عندما أرادوا الاستيلاء على جزيرة فرنسية فى المحيط وهى جزيرة « سان بيير ايه

ميكيلون ، واستطاع الاميرال موزيليه الموالى لديجـول أن يضم الجزيرة الى فرنسا الحرة رغم معارضة الولايات المتحدة ٠

ثم وقف ديجول ضد الانجليز ـ ولكن دون جـدوى ـ عندما طرد الجيش الفرنسى من سـوريا ، كمـا وقف فى وجههم عندما حاولوا الاستيلاء على مدغشقر ٠

٣ ـ استطاع ديجول أن يتصل بالفرنسيين فىفرنسا عن طريق الاذاعة البريطانية ، وكان يصرح ـ بنفسه أو عن لسان المتحدثين عنه ـ باستنكاره الشديد لعدمشرعية حكومة فيشى وتوان شعب فرنسا واستسلامه للالمان ٠

وقد أرسلت بعثات انتحارية بالمظلاتوالغواصاتلاقامة الاتصال بانصار ديجول المقيمين فى فرنسا ٠

ولكسب أكبر عدد ممكن من الفرنسيين المترددين أذاع ديجول أنه فيما يتعلق بالمستقبل بعد الحرب سوف يترك الامر للشعب الفرنسى لكى يختار ممثليه بمحض ارادته ، وكامل حريته ٠

وقد صادفت هذه العبارات وهذا النشاط اهتماما كبيرا من الراى العام، فقد كان الشعب الفرنسى يمتثل الى التعليمـات الموجهـة اليه عن طريق الاذاعة ، فقام هذا الشعب بمظاهرات واضرابات بمناسبة أعيـاد وطنية (مثل العيد القومى فى ١٤ يوليو ، وذكرىهدنة الحرب الاولى فى ١١ نوفمبر) وأظهرت هذه الامة أتم استعداد لمعاودة الحرب ، وكانت حكومة فيشى قد الغت الاحزاب السياسية والنقابات ٠

* * *

وكان الماريشال بيتان والجنرال ويجاند يتمتعان بثقة كبيرة جدا ، فقد رأى الكثيرون منفرقة المحاربين ومن جيش الهدنة (وهما القوتان التابعتان لحكومة فيشى) أنهم سيقومون بالانتقـام ، فكان السـلاح متوافر وكانت المصانع تصنع الاسلحة مخالفة فى ذلك نصوص الهدنة ، وجاهرتالمخابرات العسكرية الفرنسية بعداء سافر للالمان ، وأرسلت جواسيس فى القسم

المحتل ـ ثم نشأ فى قلب كل فرنسى شعور وايمان بالنصر ، وكان الشعب يمنى نفسه بحدوث معجزة ، وكان الوضع يختلف فى المنطقة الشمالية (أى الجزء المحتل) عنه فى المنطقة الجنوبية (الجزء غير المحتل) •

ولوجود الالمان كان الاهالى فى الشمال يتصلون بالانجليز أو الفرنسيين الاحرار حتى يتلقوا منهم المعلومات أو السلاح •

وقامت جماعات سرية صغيرة تكون لجان المقاومة وكانوا يقومون بتوزيع المنشورات ثم أنشأوا جريدة وكان معظم أعضاء هذه الجماعات من الاشتراكيين وأعضاء النقابات •

وسرعان ما قضى الالمان على هذه الجماعات السرية • أما فى الجزء الجنوبى كان عدم وجود الالمان يسمح للاهالى بمزاولة بعض النشاط السرى بحرية كاملة •

ولو أن بوليس فيشى كان يقوم بقمع هذه الحركات فورا الا أنه كان يتساهل ويتغاضى فى كثير من الاحيان عن بعض هذه الحالات السرية •

ومع ضآلة المقاومة فى هاتين المنطقتين الا أن رجال المقاومة السرية انشأوا جبهة قومية خرج منها رجال القناصة وكانوا خطيرين فقاموا بأعمال مجيدة •

الا أنه مع هذا الشعور الجارف وقعت للأسف الكارثة الكبرى ، وكان ذلك حين التقى الماريشال بيتان بهتلر فى مدينة منتوار ، واتفقا على أن يتعاون بيتان مع الالمان ، وما أن أذيع نبأ هذه المقابلة حتى انهارت آمال الشعب الفرنسى •

وهكذا بدأت المقاومة الفرنسية وأثبتت وجودها وكان الشعب الفرنسى ينقسم الى قسمين :

أولهما يؤيد بيتان ، والآخر يؤيد ديجول •

* * *

بدا الرأى العام فى فرنسا عام ١٩٤٢ يعطف على ديجول ، ويبتعد عن حكومة فيشى وأذنابها (أمثال لافال) وكانت الحركة السرية داخل فرنسا تحتاج الى مساعدة خارجية سواء من الحلفاء أو من فرنسا الحرة ، الا أن زعماء المقاومة السرية أرادوا أن يعملوا لحسابهم ويستقلوا عن ديجول فطلبوا من الانجلوساكسون المساعدة دون أن يطلبوا ذلك من ديجول الذى كان يمثل فرنسا الحرة ٠

وأخيرا وافق الانجليز على انشاء مكتب مركزى للاخبار يكون تابعا لديجول ، ويكون هذا المكتب بمثابة جهة اختصاص للاتصال بفرنسا من حيث ارسال رجال ومال وذخيرة ٠

وبهذا استطاع ديجول أن يستدعى الى لندن بعض زعماء السرية من المنطقتين وسلمهم تصريحات تنشر باسمه فى الصحف السرية فى فرنسا وكان هذا العمل بمثابة اتفاق على المبدأ بين ديجول والمقاومة السرية ٠

ثم قام ديجول بعمل ايجابى أكثر فاعلية من سابقيه وهو أنه أوفد فى يناير عام ١٩٤٢ الى المنطقة الجنوبية جان مولان المحافظ السابق الذى استطاع أن ينزل بالمظلة ، وتمكن من القيام بدور مجيد اذ وحد شمل رجال المقاومة المولين لديجول ، وهكذا شكل مولان قيادة موحدة ٠

وفى نوفمبر عام ١٩٤٢ أعد الامريكيين عدتهم لانزال جنود على شاطىء افريقيا الشمالية ٠

فقام قنصل أمريكا فى مدينة الجزائر بربط علاقة مع الجنرال جيرو زعيم المقاومة المناهضة لديجول ، وبعد أن وقع جيرو فى الاسر الالمانى عقد الامريكيون اتفاقا سريا مع الاميرال دارلان الذى تعهد بتسليم الاسطول الفرنسى للحلفاء ٠

وبعد اغتيال دارلان ، كان الجنرال جيرو تمكن من الهروب من الاسر ، فعاد اليه الامريكيون ، ووافقوا على تسليمه القيادة العسكرية والسياسية فى شمال افريقيا ٠

كانت فرنسا فى ذلك الحين مقسمة ثلاثة أقسام :

١ ـ جزء صغير جدا مع بيتان رئيس حكومة فيشى التابع للألمان ٠

٢ ـ جزء مكون من رجال المقاومة فى فرنسا الجنوبية بقيادة المحافظ السابق جان مولان مندوب ديجول .

٣ ـ جزء مكون من رجال المقاومة فى الجزائر تحت اشراف الجنرال جيرو التابع لامريكا .

ودبت الخلافات بين الجنرال ديجول والجنرال جيرو فى الجزائر . فطلب كل من روزفلت وتشرشل من القائدين الفرنسيين أن يضما صفوفهما ، فاضطرا الى التظاهر بالصلح .

وكون جيرو وديجول لجنة في الجزائر سميت لجنة التحرير الوطنية .

وأخذ جيرو يبتعد شيئا فشيئا عن السياسة اكتفاء منه بالناحية العسكرية ، ثم ما لبث أن ابتعد عن الميدانين .

وهكذا استطاع ديجول أن يوحد السلطة داخل فرنسا وخارجها ، كما استطاع أن ينظم حركة المقاومة التى تفتحت ونهضت تطالب بالغاء الجمهورية الثالثة ، وباصلاح البلاد اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا .

وبعد مصرع جان مولان مندوب ديجول فى فرنسا عين هذا الأخير جورج بيدو .

وقامت المقاومة باعمال جليلة منها عملية فيركور المشهورة وهي تتضمن مهاجمة بعض رجال المقاومة الفرنسية لفرقة ألمانية اثناء غزو الحلفاء لفرنسا وبعد أيام أبيد رجال المقاومة على يد الفرقة الالمانية ، الا أنهم تسببوا بذلك فى تعطيل الفرقة حتى تمكن الحلفاء من الوصول الى هدفهم .

وشكل ديجول حكومة الجزائر المؤقتة التى كانت تعتبر الحكومة الشرعية أو على الاقل حكومة الامر الواقع وخرجت المقاومة من السرية الى العلنية لكى تقود البلاد الى النصر .

المقاومة السرية فى أوروبا الوسطى

كان الرايخ الثالث ينظر الى شرق أوروبا وكأنه ضيعة لالمانيا العظمى ، ومن أجل هذا كان سلوك هذه الدولة فى أوروبا الشرقية سلوكا لا مثيل له من القسوة والفظاعة ٠

ويتضح هذا مما نذكره فيما يلى من أمثلة تبين مدى الفرق فى المعاملة بين غرب أوروبا وشرقها ، ففى فرنسا عندما قام بعض الفرنسيين باغتيال الالمان لم تقم السلطات الالمانية بأى عمل انتقامى يذكر ٠ لكن عندما اغتيل أول المانى فى بولندا قبضت السلطات الالمانية على ٢٠٠ بولندى وأعدمتهم .

وكذلك فى روسيا عندما اغتيل فى مدينة كييف أول المـانى قبضت السلطات الالمانية على ٨٠٠ روسى وأعدمتهم ولم تكتف بذلك بل أخـذت تهدم القرى وتقوم بالتعذيب والقتل الجماعى وغرف الغاز ٠

فهاجت هذه الشعوب وجندت نفسها لمقاومة الظلم ولذلك أخذ نضال المقاومة السرية صبغة شعبية خالصة وصحيحة ٠

وكانت المقاومة فى هذه الدول تجد سهولة كبيرة فى تجنيد رجال كانوا لا يحسبون أى حساب للموت أو التعرض للأخطار ٠

وسبب ذلك اختلاف مستوى المعيشة ، ففى أوروبا الشرقيـة ينخفض مستوى المعيشة بدرجة كبيرة ، وحياة الرجـال رخيصة ، ولهـذا كانت المقاومة تقوم بأعمالهـا على أحسن وجه ٠ أما فى الدول الغربيـة فكانت المقاومة فكرية وخلقية وسيكلوجية وفيها يكون للرجل قيمة كبيرة ومستوى مرتفع من المعيشة ٠

وكانت النتيجة أن ترك الالمـان فى هـذه الدول عداء لا ينتهى وحقد لا يخمد ، خاصة وأن هـذه الدول قد حررها الجيش الاحمر الذى يمقت الالمان ويعتبرهم خصوما الداء ٠

١ ـ تشيكوسلوفاكيا :

بدأت المقاومة السرية التشيكية عندما غادر الرئيس بنيس البلاد قاصدا لندن في٢٢ أكتوبر من عام ١٩٣٨ ، وقام بعض المفكرين والساسة بتشكيل اول جمعية سرية وسموها المركز السياسي الذى كان على اتصال منتظم مع بنيس ، وما أن وصل الالمان داخل براغ فى مارس عام ١٩٣٩ حتى غادرها شخصيات أخرى ، ثم تكونت جمعية سرية جديدة كانت تتكون من عسكريين وسميت مجلس الدفاع الوطنى، وبدأت هاتان الجمعيتان أعمالهما بانشاء اتصالات مع الشيوعيين الذين كانوا يعيشون فى الخفاء • كما أن هاتان الجمعيتان توصلتا الى تلقى المساعدة من الدول الغربية ، كما تمكنتا من اقامة علاقات سرية عن طريق الاذاعة مع المهاجرين التشيكيين الذين كانوا يعيشون فى لندن •

ولما شنت بريطانيا وفرنسا الحرب على المانيا أضاء الامل قوب التشيكيين وتكونت فرقة تشيكية تحارب فى صفوف الجيش الفرنسى ، وفى أول سبتمبر عام ١٩٣٩ قامت مظاهرات شعبية رغم ما تم من القاء القبض على عدد كبير من الافراد •

كما قامت مظاهرات فى ٣٠ سبتمبر بمناسبة ذكرى اتفاقيات ميونيخ ، فاضرب الاهالى عن ركوب الترام وكانت جميع عربات الترام تسير خالية ، وقامت بعض مظاهرات ألقىالمتظاهرون خلالها « بمب الاطفال » أمام مسكن الحاكم الالمانى ، واضطر البوليس الى اطلاق النار فقتل طالب وجرح عدد كبير • وفى اليوم التالى اقيمت مظاهرة بمناسبة جنازة الطالب الذى قتله البوليس ، وعلى أثر ذلك اغلقت السلطات الالمانية جميع المدارس الثانوية وظلت مغلقة حتى نهاية الحرب ، ورغم مغادرة كثير من الاشخاص للبلاد الا أن الجمعيتان تمكنتا من توحيد الصف ، واندمجتا تحت اسم اللجنة المركزية للمقاومة الداخلية ، وكان اسمها باللغة التشيكية « أوفود » •

قامت هذه اللجنة بأعمال جليلة ، فقد ساعدت الشعب على القيام بمقاطعة الاحتفالات الالمانية ، ومقاطعة شراء الصحفالالمانية التابعة لها ، كما قررت لجنة المقاومة (أوفود) طبع الصحف والكتب الصغيرة التى كانت تزود الحلفاء بكافة المعلومات وتنير الشعب بنشر الحقائق وتعمل على رفع الروح المعنوية •

واستطاعت لجنة (أوفود) أن تخبر الاتحـاد السوفييتى ـ عن طريق ما قدمه اليها كولونيل ألمانى ـ بقرب غزو روسـيا • وحددت اللجنـة الاهداف العسكرية السوفييتية التى تهدف الطائرات الالمانية الى تدميرها ، الا أن السوفييت لم يبالوا ، واستطاعت هذه اللجنـة أن تضع قنبلة فى حفل كان مقررا أن يلقى فيه هتلر خطابا •

كان لهزيمة فرنسا أثر سىء على لجنة أوفود التى ضعف نشاطها •

وعندما هاجم هتلر روسيا دبت الشـجاعة فى عروق رجال المقـاومة السرية • واعترفت روسيا بالحكومة التشيكية المؤقتة الموجودة فى لندن ، وحينئذ تمكن المتطوعون التشيكيون من المحـاربة فى صفوف الحلفـاء فى أفريقيا وفى اوروبا ، ثم كون الروس فرقة تشيكية وصل عدد اعضائهـا فى أواخر الحرب نحو ٦٠ الف رجل •

وكانت لجنة أوفود تتلقى الفدائيين الهابطين بالمظلات ، وقام اثنين من هؤلاء الفدائيين ـ دون علم اللجنة ـ باغتيال الحاكم الالمانى فون هيدريك . وأقام مصرع هذا الحاكم ضجة كبيرة ، فزاد عنف الالمان وهدمت السلطات الالمانية حوالى عشرون قرية ، وأعدمت جميع الاهالى فى هذه القرى التى بلغ عددهم ١٠٫٠٠٠ شخصا منهم ٢٠٠٠ من رجال المقاومة • فكانت هذه الضربة قاضية على لجنة أوفود •

ورغم هذا قام الصليبيين بحرب تشبه الحرب الصليبية من حيث الدفاع عن مبدأ أو عقيدة أو وطن وكان لهذه الحرب أثرها ، وشكل المحاربون لجان قومية عديدة ثم شكلت لجنة واحدة لتنسيق أعمال اللجان •

واستطاعت هذه اللجان التى كانت بمثـابة حكومات محلية أن تؤمم المصانع والاملاك والاراضى ، وتصادر أموال الخونة الذين تعاونوا مع الاعداء وتحارب العدو بمساعدات خارجية •

الا أن العدو استطاع أن يقوم بهجوم مضـاد قضى على هذه اللجـان ، وحرق ٦٠ قرية ، وفى نهاية عام ١٩٤٤ دخل الجيش الاحمر تشيكوسلوفاكيا

وأدرك بنيس ـ وزير خارجية تشيكوسلوفاكيا والذى أصبح بعد عام ١٩٣٨ رئيسا لجمهوريتها ـ الدور الهام الذى سيلعبه الاتحاد السوفييتى ومن أجل ذلك ذهب الى موسكو ووقع على معاهدة صداقة ومسـاعدة بين البلدين ، وفى عام ١٩٤٥ اعترفت روسيا بالمجـلس القومى السلوفاكى وباللجان القومية كهيئات عامة •

٢ ـ اليونان :

فى عام ١٩٣٦ تولى رياسة الوزراء اليونانية الجنرال ميتاكساس ، وبالاتفاق مع الملك أقام هذا الجنرال دكتاتورية عسكرية • وما أن أقيمت الدكتاتورية تكونت فرق المقاومة ضد الحكومة والملك •

ثم جاء موسيلينى عام ١٩٤٠ وطالب حكومة الجنرال ميتاكساس بالاستسلام لايطاليا فعارض ميتاكساس ووقف فى وجه الزعيم الايطالى •

وكان هذا الموقف الوطنى المشرف سببا فى تغيير تيار المقاومة ، فانضمت المقاومة الى الحكومة ، وتكونت الوحدة المقدسة ضد العدو المشترك • ولما انتصرت هذه الدولة الصغير على ايطاليا تدعمت الوحدة •

ثم هاجم هتلر اليونان وهزمها وشرد أهلها ، وسادت الفوضى وعم الخراب ، وهرب الملك الى القاهرة حيث أنشأ فى ٢٣ أبريل عام ١٩٤١ حكومة دكتاتورية •

ولم يترك الملك فى أثينا أى هيئة للمحافظة على الوحدة المقدسة ، بل ان بعض القواد المتخاذلين أقاموا حكومة اعتقادا منهم أن محور برلين ـ روما ـ هو الذى سينتصر •

وخضعت البلاد لاحتلال مزدوج كان سببا فى تقطيع أوصالها • ومع ذلك ظلت فى الجبال مراكز مقاومة ساعدت على بقائها طبيعة البلاد •

وكان أعضاء هذه المراكز يعيشون عيشة بدائية ، الا أنهم تمكنوا من الحصول على السلاح الذى أخفاه الجيش النظامى من الاعداء •

ومن بين مراكز المقاومة برز مركزين وهما :

الحركة السرية الاولى ـ وعرفت باسم ايلاس •

والحركة السرية الثانية ـ وعرفت باسم ايديس •

وكانت هناك جمعيات أخرى أقل قوة ونفوذا الا أنها كانت متفرقة ، وكانت تحارب بعضها بعضا • ولم تظهر هذه الظاهرة الفريدة فى أى دولة من الدول التى قامت فيها هذه المنظمات السرية •

وكان الجيش الانجليزى قبل الغزو قد أنشأ داخل اليونان بعض محطات ارسال كانت على اتصال بالادارة السرية فى لندن وبالقيادة العامة فى القاهرة ٠

وفى ١٢ أكتوبر عام ١٩٤٢ استطاع الانجليز أن يرسلوا بعثة بالمظلات مكونة من ١٢ شخصا اتصلت بالجمعيتين السريتين ايلاس وايديس ٠ وقاموا فى ٢٥ نوفمبر عام ١٩٤٢ بنسف الخط الحديدى الموصل بين سالونيك وأثينا مما عرقل خط تموين الجيش الالمانى فى أفريقيا ــ الذى كان تحت قيادة دوبل وكان يعتزم غزو مصر ــ ولم يتعد تعاون الجمعيتين السابقتين هذه العملية نظرا لما يحمله كل منهما للاخرى من عداء شديد ٠

وفى صيف عام ١٩٤٣ استطاع الانجليز أن يخدعوا الالمان ، فعمدوا الى ايهامهم بأنهم يعدون العدة لانزال جنود الحلفاء على شواطىء اليونان ، وكان لهذه الخدعة آثارها المرجاة ، فاستطاع الانجليز أن يعطلوا فرقة المانية مصفحة بأكملها ٠

وفى ابريل عام ١٩٤٣ هاجمت جمعية ايلاس السرية اليونانية ثلاثة جمعيات سرية يونانية ، فشتتت اثنتين منهم وصمدت الثالثة ايديس بمساعدة الانجليز ٠ ولكن هذه الجمعية اضطرت أخيرا أن تعترف بقيادة الحلفاء فى القاهرة ووعدت بعدم التعرض لجمعية ايديس ٠

وتكررت حوادث الاعتداء بين جمعيات ايلاس وايديس ، وسئم الشعب اليونانى هذه المشاحنات بين الاخوة فى وطن واحد وتحت أنظار العدو المحتل ٠

واستطاع الانجليز أن يستدعوا بعض زعماء جمعية ايلاس الى القاهرة ، فطالب الزعماء بتمثيل الجمعية فى الحكومة اليونانية فى القاهرة كما طالبوا بعدم عودة الملك الى اليونان آلا بعد الاستفتاء ، وعارض تشرشل فى أمر الاستفتاء ٠ وعلى هذا تم الصلح ، وكان صلحا ظاهريا اذ كانت نفوس الطرفين مليئة بالحقد والعداء ٠

وهاجمت جمعية ايلاس من جديد جميع الجمعيات السرية الاخرى ، واستطاعت أن تخضعها وبينما كانت هذه الحوادث جارية داخل اليونان تمرد جنود الاسطول اليونانى فاضطر الملك أن يوافق على عدم عودته الا بعد الاستفتاء ٠

لم يسبق لرجال المقاومة السرية فى أى دولة من الدول مثـل هـذه الانقسامات التى حدثت فى اليونان •

كان تشرشل يهمه رجوع ملك اليونان الى بلاده حتى تظل هذه الدولة داخل النفوذ البريطانى •

وكان ستالين لا يحاول مساعدة الشيوعيين داخل اليونان وذلك أولا لعدم قدرته على غزو هذه الدولة ، وثانيا تطبيقا لما وقعه مع تشرشل من اتفاقات بشأن تقسيم مناطق النفوذ •

٣ ــ يوغوسلافيا :

تعتبر المقاومة السرية فى يوغوسلافيا من أعنف المقاومات السرية فى أوروبا حيث أنها وقفت أمام العدو وقاومته مقاومة جبارة •

واذا استثنينا اليونان يمكننا أن نقـول أن يوغوسلافيـا هى الدولة الوحيدة فى أوروبا التى قام بين جمعياتها السرية عداء وصل الى حد الحروب العنيفة • كما أنها الدولة الوحيدة التى قاست أشد وأعظم أهوال الحرب العالمية الثانية •

فى ابريل عام ١٩٤١ تم غزو الالمان ليوغوسلافيا ولم يستغرق هـذا سوى أياما معدودة • وحيث أن هذه الدولة مقسمة الى عدة شـعوب مختلفة وهى : الكرواسيين ، والصرب ، واهالى الجبل الاسود ، واهالى بوسنى ، واهالى هرزجوفين ــ لذلك عمد الالمان بمصاحبة الايطاليين على انشاء دولة الكروات المستقلة تحت حكم بافيليتش الكرواتى ، وعصابته الارهابيين • فقامت هذه المنظمة الارهـابية بذبح جميع اليهـود وجميـع الصربيـين والشيوعيين ، والى جانب هذه المذابح قامت عدة حروب أهلية بين الاهالى الغير متجانسين الموجودين فى هذه الدولة •

وهربت حكومة الجنرال سيموفيتش الى لندن وكان يصحبها الملك الشاب بطرس ، وكانت هذه الحكومة المكونة من جميع الاحزاب السياسية تتمتع بثقة الشعب ولم يحدث أى نشاط داخل البلاد •

وكون الجنرال العميل بنديتش حكومة فى بلغراد ثانية للالمان •

وسط هذه الظروف العصيبة وهذا التدهور ، قام اثنين بمقاومة سرية كل منهما مستقل عن الآخر :

الاول : هو الكولونيل مهالوفيتش الذى فضل المقاومة وهرب الى الجبال وحاول جمع الضباط وتكوين جيش يقوم بعمليات محدودة حتى يحين يوم النصر ٠

الا أن هذا الضابط تكاسل مؤقتا عن القيام بأى نشاط نظرا لشدة القمع الالماني ، فضلا عن أنه من أصل صربى وكان الصربيين أقلية فى البلاد ولا يتصور أن يكون لهم الغلبة يوما ما ٠

الثاني : هو السكرتير العام للحزب الشيوعي جوزيب بروز المعروف باسم تيتو ـ فقام هذا الشيوعى بجمع شمل الشيوعيين ٠

وفى ١٣ يوليو عام ١٩٤١ قامت فى الجبل الاسود ثورة صغيرة ضد الايطاليين ، والجدير بالذكر أن هذه الثورة كانت مشجعة وتبشر بالخير ٠

وأراد تيتو أن يزيل العداء بين أهالى هذه الدولة الغير متجانسين فوعد باقامة دولة فيدرالية بعد الحرب ، وكان لهذا الوعد أثره حيث كثرت الاغتيالات ضد الالمان ، وكثرت الحرائق فى الاهداف العسكرية الالمانية وقام تيتو بضم الجمعية السرية الاولى التى يراسها الكولونيل الصربى مهالوفيتش ٠

واستطاع تيتو أن يحرر جزء صغير من صربيا واستقر فى بلدة أوزيس ووجد هناك بنكا ومصنعا حربيا للبنادق ومطبعة ٠

وهاجم الالمان أنصار الكولونيل مهالوفيتش وشتتوهم الا أن هذا الاخير استطاع أن يتصل بحكومته فى لندن بالبريد فعينته قائدا عاما ووزيرا للدفاع فى يوغوسلافيا ٠ ومجدت الصحف والاذاعة أعماله حتى أصبح أسطورة عصره والمقام الاول فى يوغوسلافيا ٠

ولم يشأ ستالين أن يعترف بتيتو الشيوعى ، ولم يؤيده ، بل نصحه بالاتفاق مع حكومة لندن ، واخذ عليه هذه الصبغة الشيوعية التى اتسمت بها حركته والتى أدت الىالاضرار بالشيوعية حيث عرضتها لقطع مساعدات طبقة الاثرياء ٠

وطلب الاتحـاد السوفييتى أن يرسل بعثـة لدى حـكومة الكولونيل مهالوفيتش فرفض الكولونيل طلبه ٠

فضل تيتو الهجوم عن هذا الاستسلام ، وفي نوفمبر عام ١٩٤١ قامت معارك دموية عنيفة بين أنصار تيتو وأنصار مهالوفيتش ، ووقعت مذابح ، وكان النصر حليف تيتو ، الا أن الالمان قاموا بهجوم مضاد ، وتم لهم فى سبعة أيام استسلام الجميع ، وظل العداء قائما بين الطرفين انصار تيتو ومهالوفيتش ٠

وبينما كان تيتو وأنصاره ينظرون الى المحتل باعتباره أنه العدو المشترك الاول والذى يجب قهـره وطرده من البـلاد ، كان مهالوفيتش وأنصـاره لا يهتمون بشيء سوى قهر تيتو ومن أجل هذا زود الايطاليون مهالوفيتش بالسلاح ٠

وتعرض تيتو وانصاره لعدة هجمات من جانب جيش العدو المكون من ألمان وايطاليين وبلغاريين والتابعين لهم من أهالى الكروات ٠

واضطر تيتو ازاء هذا السيل الجارف أن يغير مقر قيـادته عدة مرات ، وكان فى كل مرة يفلت من الوقوع في الاسر ، وخسر تيتو فى احدى المرات ٥٠٠٠ من أنصاره وقعوا فى الاسر فكان مصيرهم الاعدام ٠

وفى هذه الآونة سلمت ايطاليا ، وكانت النتيجة المبـاشرة فى هـذا الحادث هى تحرير جنوب شرق يوغوسلافيا المجـاور لايطاليـا ، ومن ثم أصبح تيتو مسيطرا عليه ، كما كون جيشا يتـألف من ٢٥٠ ألف رجل مزودين بالاسلحة التى تركها الايطاليون عند انسحابهم ـ وفى ٣٠ نوفمبر عام ١٩٤٣ أصبح تيتو مارشال يوغوسلافيا وقائدا عاما للجيش ورئيسـا للمجلس الاعلى المناهض للفاشستية ٠

وقد طغى نصر تيتو على الكولونيل مهالوفيتش الذى كان يتلقى المساعدة من الحلفاء ، واخيرا لما رأى تشرشل أن الكفة الراجحة فى جانب تيتو قطع المساعدة عن مهالوفيتش وكان هدف تشرشل الوحيد هو هزيمة الالمان ولو أدى الامر الى تحالفه مع الشيطان ، وكان الشـيطان فى نظره هو تيتـو الشيوعى ، كما كان تشرشل يهدف الى وقف الزحف السوفييتى نحـو أوروبا الوسطى ٠

من أجل هذا مدت انجلترا تيتو بمساعدتها السخية ويعتبر هذا العمل أكبر مساعدة قامت بها بريطانيا ازاء الجمعيات والجيوش السرية فى اوروبا .

فأنشأت بريطانيا قاعدة جوية بحرية فى جزيرة فيس كانت تهدف الى ضرب الالمان الموجودين فى الجزء الباقى من يوغوسلافيا .

كما أنشأت بريطانيا فى هذه الجزيرة أسطولا حربيا يوغوسلافيا مكون من ٢٧ سفينة ، كما أنشأت أيضا أسطولا جويا مكون من طائرات الهوريكان ، كذلك انشأت مدرسة حربية فى ايطاليا لتخريج الضباط اليوغوسلافيين .

وكان اليوغوسلافيين يتدربون فى مصر على معارك الدبابات ، وبعد أن تدعم جيش تيتو قام الحلفاء عام ١٩٤٤ يؤيدونه بهجمات تكررت آلاف المرات .

وبينما كانت هذه المعارك تجرى ، حاول جنود المظلات الألمان خطف تيتو .

وساعدت طائرات الحلفاء ــ التى كانت تضرب باستمرار مواقع العدو وحدوده وانسحابه من يوغوسلافيا .

هذا من الناحية الحربية ــ أما من الناحية السياسية فكانت كل الظروف الداخلية والخارجية فى صالح تيتو ، ومالت الكفة الراجحة فى جانبه .
ونقلت بريطانيا الملك بطرس (ملك يوغوسلافيا) من لندن الى القاهرة .

وفى يوم ٢٢ فبراير عام ١٩٤٤ أعلن تشرشل فى مجلس العموم البريطانى مساعدة بريطانيا لتيتو .

وفى شهر يونيو عام ١٩٤٤ اعترف رئيس وزراء يوغوسلافيا ــ الموجود فى لندن ــ بالنظام الثورى الجديد . وفى ٢٥ اغسطس عام ١٩٤٤ أقال الملك بطرس مهالوفيتش من مهام منصبه كقائد عام .

وفى ١٢ سبتمبر عام ١٩٤٤ أمر الملك جميع أهالى يوغوسلافيا بأن يكونوا تحت قيادة تيتو . وقبل انسحاب الالمان نهائيا سافر تيتو سرا الى

موسكو وبعد عودته طلب من الانجليز أن يتركوا يوغوسلافيا ، وجاءت قوة سوفييتية (محل الانجليز) وهى التى ساعدته على تحرير صربيا وبلجراد ٠

ان حرب يوغوسلافيا فريدة من نوعها ، تختلف عن جميع الحروب الاخرى من قسوة العدو على الاهالى دون تمييز (بين الرجال والنساء والاطفال) ٠

وكانت المقاومة السرية عنيدة ولا تلين مما دفع هتلر الى اصدار قرار بالقضاء على المقاومة دون شفقة أو رحمة ٠

وكان يقابل العنف الذى يستخدمه هتلر عنفا من جانب الاهالى لدرجة ان كان جنود الجيش الالمانى وضباطه يقدمون طلبات نقلهم الى الجبهة الروسية هربا من يوغوسلافيا ٠

وقد دفع الشعب ضريبة الدم لتحريره فقد قتل الالمان ١٠٪ من السكان وهذا يعادل مليون و ٦٠٠ ألف شخص ٠

ودمروا ٩٠٪ من خطوط السكك الحديدية ، كما دمروا ٨٠٠ ألف منزل، و ½ الماشية ، وتفشت المجاعة ، وانتشر التشرد ٠

واضطر الالمان الى ارسال ١٥ فرقة كاملة لمحاربة الانصار أصحاب العقيدة الوطنية ٠

وظهرت دولة جديدة تكونت من النار والحديد والدم ، وكان انتصار تيتو انتصارا كاملا ، واستحق الثناء هو وأنصاره الذين قاموا بالمقاومة السرية ٠

حقا ان هذا النصر تم بمساعدة الانجليز مساعدة ضخمة الا أن الانجليز لم يمدوا هؤلاء الانصار بهذه المساعدة الا بعد أن تأكدوا أنها مربحة وسوف تأتى لهم بنتائج طيبة ٠

وقبل هذه المساعدة كان هؤلاء الانصار قد أثبتوا اخلاصهم لها ، ولقنوا العدو درسا لا ينساه ٠

وبعد ذلك فرض الانصار وجهة نظرهم على الحلفاء ، وهؤلاء الانصار هم الذين صنعوا مصيرهم وتاريخهم ٠

٤ ـ بولنده :

لم يحدث فى أى دولة فى أوروبا مثل ما حدث فى بولندا حيث كان الاحتلال هناك قاسيا الى أبعد درجة وهذه أولى الامثلة :

اقتسم الالمان والروس بولندا فيما بينهما ، ثم قامت ألمانيا بتقسيم نصيبها الى جزئين هما : الجزء الغربى والجزء الوسط ٠

ففى الجزء الغربى جرت الحياة على بقاء البولنديين الذين كان عليهم أن يتركوا هذا الجزء ويرحلوا دون أن يأخذوا معهم مال أو منقولات ٠

أما فى الجزء الوسط فقد كانت الحياة غير مستقرة وكان البولنديون يتمتعون بحقوقهم فى نطاق ضيق ٠ وكان يقابل أى عمل عدائى يقومون به ضد الجيش المحتل ، قمع اجتماعى ، ففى مدينة بالميرى على بعد ٢٢ كيلو من وارسو اغتيل جندى ألمانى فكانت النتيجة أن قبض على ثلاثة آلاف شخص وأعدموا ، كما هدمت بعد ذلك عدة قرى ٠

وكان هتلر يعمل على ابادة البولنديين أو استعبادهم تدريجيا من هذا الجزء أيضا ٠ ومن أمثلة الابادة : اعدام ٣٥٫٠٠٠ شخصا مصابا بمرض السل ، واعدام العجزة الغير قادرين على العمل ، تنظيم الزواج بحيث أنه اقتصر على الاصحاء جسما وعقلا وخلقا فقط ، منح الاصحاء بطاقة عمل ، التدريس للالمان دون البولنديين ، وأخيرا كان هناك مشروعا بنقل ٢٠ مليون بولندى الى سيبريا ٠

ولم يسبق فى أوروبا لرجال المقاومة أن اتحدوا مثل هذا الاتحاد الذى جمع البولنديين جميعا دون استثناء ٠

وهذه هى الدولة الوحيدة التى لم يجد فيها الالمان عميلا واحدا يتفق معهم على تشكيل وزارة تابعة لهم ٠

والبولنديين ذوى خبرة ودراية فى فن الحركات السرية لانهم نقلوا عن آبائهم الحيل والخداع التى تعلموها فى أثناء مقاومتهم للقياصرة الروس ٠ كما أن منهم من سبق له معرفة الالمان أثناء الحرب الاولى عامى ١٩١٤،١٩١٨

ولكن تطور الحرب أدى الى القضاء على المقاومة السرية البولندية ٠

وبعد أن هزم الجيش البولندى هربت الحكومة وكون الجنرال سيكورسكى حكومة فى باريس ، عملت هذه الحكومة على تجنيـد جيش من البولنديين المقيمين فى فرنسا وكان قوامه ٨٠٫٠٠٠ رجلا حاربوا فى خط ماجينو ٠

وكانت حكومة بولندا تقوم باذاعة الانباء والتعليمات من باريس ثم من لندن ، الا أن الالمان صادروا جميع أجهزة الراديو مما شل حركة الاذاعة ٠

ولم يكن فى الامكان حدوث اتصال بين أى مقاومة سرية فى الداخل وبين السلطات البولندية فى لندن وذلك لبعد المسافة ، وكانت الطـائرات غير قادرة على القيام بالاتصال ٠

ولم يتمكنوا من الاتصال عن طريق الطائرات الا فى عام ١٩٤٤ عندما بدأ الانجليز يستخدمون طائرات « لانكستر » و « ليبراتور » ، وهى ذات مدى كبير ٠

وقد طلب الفدائيين البولنديين من الانجليز أن يساعدوهم فى القيـام بأعمال خطيرة مثل النزول بالمظلات وبلغ عدد طلبـاتهم ١٣٠٠ ولم يلب الانجليز منها سوى ٨٥٨ طلب نجح منها ٤٨٣ شخصا ٠

واستطاعت المقاومة السرية الداخلية أن تقوم بأعمال تخريب بلغ عددها ٧٠٠٠ قاطرة سكة حديد ، و ١٩٫٠٠٠ عربة سكة حديد ، وأخرج رجال المقاومة ٧٣٢ قطارا عن الخط ونسفوا ٣٨ كوبرى ، واغتالوا ٦٠٠٠ المانى، وقاموا بحوالى ٢٥٫٠٠٠ عملية تخريب متنوعة ٠

وعمل الالمان على حرمان البولنديين من التعليم العالى فأغلقوا الجامعات ، الا أن المقاومة السرية عملت على فتح جامعة سرية ، وجمعت المدرسـين ، وألحقت الطلاب بها ، ومنحتهم شهادات بعد أداء امتحانات ٠

كما قام رجال المقاومة السرية بمد الحلفاء بالمعلومات ، وذلك عن طريق الحـاق بعض الرجال بمنظمـة تود التى كانت تسير خلف الجنـود لمدهم بالمؤونة ٠

واستطاع رجال المقاومة مد الانجليز بمعلومات قيمة عن تجارب الصواريخ التى كان العلماء الالمان يقومون بها فى منطقة بينموند ٠

وكان الاتصال بين الانجليز والمقـاومة السرية يتم عن طريق الاذاعـة السرية أو عن طريق تقارير ترسل مع رجال اتصال ٠

كما أصدرت الحكومة البولندية المقيمة فى فرنسا الامر رقم ١ الىالمقاومات السرية تامرها بالقيام بعرقلة التموين التى كانت ترسله روسيا الى المانيا وفقا للاتفاق الروسى ـ الالمانى ٠

وبعد أن قام هتلر بالهجوم على روسيا قامت المقاومة السرية بمناوشات فى مؤخرة الجيش الالمانى الفازى ٠

ورد الالمان على هذه الاعمال بقمع حركة المقاومة قمعـا عنيفا ، ثم عاد رجال المقاومة بعد القمع الى مواصلة أعمالهم التخريبية ٠

* * *

أما فيما يتعلق بالجزء الذى يحتله الروس فظل رجال المقـاومة يعدون الروس أعداء لهم كالالمان ، وما أن بدأت هجومات هتلر على روسـيا حتى تغيرت الاوضاع ، وسرعان ما أصبحت بولندا صديقة لروسيـا وعـادت الاوضاع الى سيرتها الاولى ٠

ولكن هذا الصلح كان معوجا لأن ستالين لم يوافق على ما كانت عليه الحالة في بولندا قبل الحرب ، وظلت المسالة عائمة ، ولم تتكشف خباياها .

وفى ديسمبر عام ١٩٤١ تجلت نيات ستالين ، فأنشأ اتحـاد المواطنين البولنديين برياسة الكاتبة البولندية واند واليفسكى التى كانت تعمل فى الجيش الاحمر فى وظيفة كولونيل ، كما أرسل ستالين شيوعيين بولنديين الى بولندا عن طريق المظلات وأنشأوا فيها حزب العمال البولندى ٠ كمـا أنشأ ستالين محطة ارسال فى موسكو على غرار محطة لنـدن ، وسرعان ما تبادلت المحطتان الشتائم وتلفيق التهم ٠

ولم يتمكن ستالين من مساعدة بولندا الا فى جزء صغير منها ٠

وبعد أن قامت المانيا بغزو الاتحاد السوفييتى ، دخلت الجيوش الالمانية الجزء البولندى الذى كان يحتله السوفييت ، واكتشف الالمـان فى غابة كاتين الواقعة فى هذا الجزء آلاف من جثث بولنديين عسكريين كان الروس قد قتلوهم أثناء احتلالهم لهذا الجزء ٠

وما أن اكتشف الالمان هذه الجثث حتى أذاعوا النبأ وكان له ضجة كبيرة في الاوساط الدولية ، وطلبت لندن التحقيق على يد الصليب الاحمر ، وبالطبع وافقت المانيا في الحال ٠

وكان رد روسيا على هذه الحركة هو قطع العلاقات مع بولندا فى ٢٥ ابريل عام ١٩٤٢ وبعد ذلك تلاحقت الاحداث ٠

فانشأ الروس فى موسكو جمعية المواطنين البولنديين التى شكلتجيش بولندى فى الاتحاد السوفييتي بقيادة الجنرال برلنج ، كما أنشأ الروس فى موسكو لجنة قومية بولندية ٠

وردت على هذه الاعمال جمعية سرية تسمى أ٠ك A. K. بان انشات فى بولندا لجنة مناهضة للشيوعية ، وحذرت الجمعية الحلفاء من خطر ستالين الذى لا يقل عن هتلر ، فكلاهما دكتاتور ٠

وقامت فى بولندا أحزاب أربعة هى :

١ ـ الحزب الاشتراكى ٠

٢ ـ حزب الفلاح ٠

٣ ـ حزب العمال ٠

٤ ـ الحزب المسيحى القومى ٠

بالاتفاق على اعتراضها على الدخول فى مناقشة مع السوفييت بشأن مسألة الحدود الشرقية ، وامتنعت عن الموافقة على أى حكومة من صنع موسكو ٠

* * *

وحيال هذه المخاوف ، وأثناء هذه الفرقة وصل الجيش الاحمر الى نهر الفستول الواقع فى بولندا ٠

وقد سبق هذا وقوع حوادث مؤسفة وهى :

١ ـ قيام لجنة A. K. وحدها بمحاربة الالمان فى مدينة كوبل ، رغم تخلى الروس عن مساعدتها بعد وعدهم بذلك ٠

٢ ـ وفى مدينة فيلنو اشترك الروس والبولنديون فى الاستيلاء على المدينة ، وبعـد ذلك قام الروس بالقبض على زعمـاء الوحـدات التابعة لجمعية

٣ ـ تكرر هذا الحادث فى مدينة لفوف وعلى نهر الفستول ٠

* * *

وخلال هذه الحوادث اتخذت حـكومة لندن قرارا على جانب كبـير من الاهمية وهو :

« ثورة وارسو » ٠٠٠

وكان هذا القرار يتسم بصبغة سياسية أكثر منها عسكرية ٠

فقد كان هـذا القرار يتضمن وضـع الروس أمام الامر الواقع وذلك بتحرير العاصمة من رجال المقاومة الغير تابعين لهم مع فرض شرعية حكومة لندن ، وكانت هذه الثورة تشبه ثورة باريس ، الا أن الوضع كان يختلف من حيث :

أولا ـ كانت الكبارى التى تربط وارسو بالاتحاد السوفييتى منسوفة ، وكان الجيش الاحمر يقترب من العاصمة والالمان فى داخلها ٠

ثانيا ـ عندما اتخـذت حـكومة لنـدن البولندية هذا القرار لم تبلغ الانجلو ساكسون به ٠

ثالثا ـ كانت المقاومة السرية تعلم تماما أنهـا قادمة على كفـاح سافر ومغامرة بعيدة المدى ٠ ومن ثم كانت لا تنتظر أن تتلقى أى مسـاعدة من الخارج ٠

وخلال هذه الاحداث كانت المقاومة تسير نحو الفاجعة الرهيبة ٠

وعلى أثر نداء حكومة لندن ، هب الشعب فى وارسو ملبيا النداء فكانت الثورة فى أول أغسطس ، وبلغ عدد الثوار ٤٠ ألفا ، كان من بينهم ٢٠ ألفا من المسلحين بالمدافع الرشاشة والبنادق ، وكان كل منهم يحمل ذخيرة

تكفيه مدة سبعة أيام . وكانت هناك مصـانع تحت الارض لصنع بعض أنواع هذه الذخيرة . وكانت هناك محطة للارسال يستخدمها الثوار فى الاذاعة باللغة البولندية والانجليزية .

ولم يكن الانجلو ساكسون راضين عن هذه الثورة لهذا لم تتوجه حكومة لندن البولندية بارسالها الى أهالى وارسو عنطريق وكالة الانباء الانجليزية

وفيما بعد غير الانجلو ساكسون رأيهم وأيدوا الثوار وقرروا مساعدتهم

فقامت ٢٩٦ طائرة معظمها امريكية والقت ٢٣٣ طن من المواد المختلفة .

أما فى داخل المدينة فقد انضم الشيوعيون الى الثوار تحت لواء المقاومة السرية .A. K ولم يتحرك الجيش الاحمر الذى كان على الضفة الثانية من المدينة .

واستنكر ستالين هذه الثورة ووصف المسئولين عنهـا ـ وهم رجـال حكومة لندن البولندية . بالمجرمين .

وحارب الثوار ضد الدبابات والمصفحات والطـائرات ومدافع المورتر ومدافع الهجوم .

واقتحم الجيش الالمانى أوكار المقاومة السرية وبعد ٤١ يوما من قيـام الثورة تحرك الجيش الاحمر وعبر نهر الفستول واسـتولى على مشـارف العاصمة فقط ، فكانت خسارة المقاومة السرية .

وبلغت خسارة المقاومة .A. K السرية ١٧ر٠٠٠ رجل منهم ١٠ر٠٠٠ قتلى و ٧ر٠٠٠ جرحى . كما كانت الخسـائر فادحة بين المدنيـين ، وعم الخراب .

وبعد هذا قام الالمان بتدمير باقى وارسو تدميرا كاملا . وهنا تلاحقت الاحداث بسرعة فائقة :

قام الروس فى ١٢ يناير عام ١٩٤٥ بالهجوم الخاطف ، وقبض الروس على رجال المقاومة

اما أعضاء البعثة البريطانية ، فاكتفى الروس بطردهم من البلاد بعد حجزهم عدة أيام ·

وفقدت حكومة لندن البولندية آخر أمل ، وشكل الروس حكومة مؤقتة فى يناير عام ١٩٤٥ ، واستنكر الحلفاء أعمال الروس كما افصحوا عن عطفهم نحو البولنديين ·

وعندما اجتمع روزفلت وستالين وتشرشل فى يالتا ضمن الحلفاء سياسة السوفييت ازاء بولندا الشرقية ·

تم بحمد الله

فهـــرست